

كيفه تصوير الالوان مرعبة او - على اقل تقدير -  
ليست كما وجدت في خيالات طفولتنا..

Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

قوس قزح



د. احمد خالد توفيق

د. تامر ابراهيم

## قوس قزح

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..  
إنه قوس قزح..

لا حقائق ولا مسلمات.. إنما هو الضوء يمارس خدعته السرمديّة في  
شبهات عيوننا..

الأبيض لا وجود له؛ بل هو سبعة الألوان وقد جاءت معاً.. الأسود لا  
وجود له؛ إنما هو سبعة الألوان وقد غابت معاً..

تدنو من الشيء أو الشخص أو الحقيقة؛ فتدرك أنه ليس واحداً.. وأن  
التجانس المزعوم وهم.. هناك حقيقتان.. ثلاث حقائق.. ربما سبع.. ربما لا  
حقيقة على الإطلاق..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..  
إنه قوس قزح..

الهواء مبتل قشيب اغتسل بالأمطار لونه، وعند طرف قوس قزح تجد  
قدر الذهب الذي دفنه القزم.. كذا قالوا في الأساطير.. تجد السعادة.. تجد  
الحقيقة..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..  
اليوم نحكي لك كيف أن قوس القزح قد يكون عفيفاً..  
كيف تصير الألوان مربعة أو -على أقل تقدير- ليست كما وجدت  
في خيالات طفولتنا..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..  
قوس قزح..

وسبع قصص نحكي عن الألوان..

سبع حكايات عن قوس قزح..

كانت الفكرة والمقدمة للدكتور (أحمد خالد توفيق).. وبعد هذا اختار  
أحد المؤلفين أن يكتب عن ثلاثة ألوان واختار الآخر أربعة..  
فمن اختار ماذا؟..

ستترك السؤال معلقاً.. فهل نجيب عنه أنت؟..

...

د. أحمد خالد توفيق

د. تامر إبراهيم

**احمد**

## أحمر



يقول السيد (متبر) وهو يلفظ الدخان من غليونه:

"اللون الأحمر يا بني هو أهم ألوان الطيف وأكثرها عمقا وتأثيرا.. إنه لون الدم.. لون الحب.. لون الزهور.. لون الفجر والغروب.. والأهم من هذا كله أنه لوهم!!"



وكان المقطم هو المكان الأمثل لما انتربنا فعله..

دائما ما تصلح فيلات المقطم في تنفيذ أي منطط.. وهذه قاعدة مطلقة..

لا بد أن يستسخوا البشر ويصنعوا المعدرات ويأكلوا الموتى ويشربوا الدماء في هذه الفيلات..

على كل حال أنا ذاهب لما هو أسوأ..!!

السيد (متبر) هو من أيقظني ليخبرني أنها الليلة الموعودة، فلم أكد أصدق نفسي وأنا أقفز في سيارتي لأنتقل إلى هنا.. إنها الليلة الموعودة، ولكم طال الانتظار..

أوقفت سيارتي أمام تلك الفيلا التي تبدو مهجورة لمن يراها من الخارج، وجلست لحظة لأملأ جسدي بدفء السيارة، قبل أن أخرج إلى حيث تضربني الرياح بلا هوادة، بأسهم من الثلج..

ومن حقبة السيارة أخرجت تلك الحقبة الجلدية الضخمة، لأجلها بنوع من المشقة متجهًا إلى مدخل القلعة..

إنني أتذكر.. ثلاث طُرقات ثم طُرقتين متباعدتين، ثم هأنذا أنتظر حتى يفتح الباب، ليستقبلني السيد (منير) بدخان غليونه..

أنا لم أر هذا الرجل إلا وهو يدخن الغليون، وإنني لأسأله عن الكيفية التي يبقى معها غليونه مشتعلاً طيلة الوقت.. أحياناً أشعر أنه ينفث لها من فمه في هذا الغليون!

كان عملياً كدأبي به، فاستقبلني قائلاً:

— "هل أحضرت المطلوب؟"

دققت على حقبي الجلدية، وأنا أومئ برأسي إيجاباً، فأفصح لي الطريق، لأعود إلى دفة الأماكن المغلقة.. وفي الداخل كان الباقون في انتظارى..

السيد (علاء) بهامته الضئيلة وجسده المكتنز، والسيد (رضا) بنظراته العصبية المتوترة، والسيد (فهمي) بملاحمه الأرستقراطية الجامدة..

حيوني بمز الرأس، فالتحذت مكاني جوارهم، حتى أتى السيد (منير) وهو يمرر أصابعه في خصلات شعره الأشيب، ليقول بذات العملية والغليون مدلى من فمه:

— "سيباً حالاً، لذا على من يريد التراجع أن يُفعلنا من الآن.."  
لم يتلق ردًا، ففتت المزيد من الدخان وانجى إلى باب إحدى الغرف، قائلاً بحياذبة:

— "اتبعوني رجاءً.."

وهكذا تبعناه صاغرين إلى الغرفة التي لم نكد نراها، حتى بدت الدهشة في ملامحنا، وإن لم يجرؤ أحدنا على النطق بحرف..

على الأرض رُسيت النجمة الخماسية الشهيرة، وقد استقرت خمسة مقاعد عند أطراف النجمة، بينما استقر ذلك الشيء عند مركز الدائرة، لشعر أنه يحتم على صدورنا بلا رحمة..

أقول هذا الشيء لأننا لم نعرف له اسمًا وإن كنا قد اتفقنا فيما بيننا على تسميته (لوح الحقيقة)..

كان يبدو كلوح حجري مصمت، استقرت في طرفه بلورة زجاجية شديدة الشفافية، وعلى اللوح نفسه خُطر فراغ لا يحتاج المرء لأن يكون خبيراً، ليعرف أنه مصمم بحيث يستلقي جسدي في هذا التجويف.. جسدي آدمي!..

استقر (فهمي) و(رضا) و(علاء) في مقاعدهم وملاحظتهم تنضح بالانفعال، بينما ظللت أنا واقفاً حاملاً حقبي الضخمة، منتظراً إشارة السيد (منير)



الذي أومأ لي برأسه موافقاً، فوضعت الحقيبة على الأرض بحرص، ونزلت على ركبتي لأصحبها..

واستقبلني ثلاث شهقات من السادة الجالسين، وأنا أخرج من الحقيبة جسد ذلك الطفل، الذي بدا واضحاً من شحوب جسده، وتلك الدماء الجافة على رأسه؛ أنه مات منذ زمن، وأن جسده كانت محفوظة لفترة طويلة، بما حال أن يبدأ في التحلل..

وحده السيد (مير) الذي ظلت ملامحه جامدة وأنا أسجي الجسد الطويل في التجويف، قبل أن أتخذ مقعدي عند أحد أطراف النجمة الحماسية، تلاحقني نظرات السادة الجالسين غير المصدقة..

وبتؤدة جلس السيد (مير)، وظل صامتاً لدقيقة كاملة، كأنما يمنحنا الفرصة لتسعد، قبل أن يبدأ في نفث الدخان والكلام في وجوهنا: - "أنتم تعرفون ما نحن مقدمون عليه أيها السادة، لكن دعوني أتعش ذاكرتكم.. نحن هنا لنستخدم لوح الحقيقة، الذي ظل لغزاً لكل الباحثين والمؤرخين على مر الزمان.."

كنت أعرف ما سيقوله بالضبط، لذا غبت في حالة الشرود، وعيناي معلقتان على جنة الطفل الساكنة، والتي لولا الدماء الجافة التي غطت وجهه، لظننت أنه نائم ومستيقظ في أية لحظة..

لكنه لن يستيقظ..

أنا أعرف هذا وأثق فيه بحكم كوني طبيباً.. حادث سيارة أدى إلى شرخ في الجمجمة وقتك في خلايا المخ.. موت سريع لكنه غير نظيف، مع كل الدماء التي فقدتها الطفل، ووالداه المذعوران بحملاته إلى المستشفى، علماً نحن الأطباء نأتي بمعجزة ما، نعيد الحياة إلى جسده الضئيل..

لكن الحقيقة كانت جليلة أمام أعيننا ومنذ اللحظة الأولى.. هذه حالة متبعية، وكل ما علينا فعله هو قننة والديه المشكين على الجنون هلعاً..

- "لوح الحقيقة صنعه السحرة في العصور الغابرة، والغرض منه استدعاء كيان ما غير محدد الهوية، هذا الكيان يحتل الجثة التي توضع في تجويف اللوح.."

حين كنت طالباً في كلية الطب، أخبرنا أحد الأساتذة، أن أقسى لحظة سمرها، حين نغير أهل المريض بولائه.. مستعرض إلى عاصفة من الهلع والاستكار وعدم التصديق، لكنك مع الوقت ستحاذ هذه المهمة الشاقة، وستؤديها بصفة روتينية..

أنا اعتدت هذه المهمة الشاقة، بل ووصلت إلى الدرجة التي انتظرت فيها خروج والدي الطفل وهما في حالة الهيار تام، لأحمل جثة طفلهما في حقيبة مليئة بالثلج، لأنقلها إلى ثلاجة معدة خصيصاً لهذا الغرض في داري،



انتظارا لليلة الموعودة..

"حين يحتل هذا الكيان الجسد الراقذ على اللوح، يحركه وينطق عن طريقه.. الميت لا يعود للحياة، لكن هذا الكيان يستحوذ على جسده ويستخره له.. ونحن نستخره لنا لنعبرنا بالحقيقة.."

بالطبع لم يمر اختفاء جنة الطفل من المستشفى مرّ الكرام.. كان هناك صراخ والديه، وتحقيقات واتهامات وأخبار في الصحف وفي نهاية الأمر.. لا شيء!

تم اعتبار أن الطفل دفن بهوية مختلفة عن طريق الخطأ، وتلقى والداه تعويضاً محترماً سيساعدهما على إنجاب طفل آخر، وظلت أنا بمنأى عن أي شك..

ما الذي سيدفع طيباً محترماً مثلي إلى سرقة جنة طفل؟!!

- "الحقيقة هي ما ستحصل عليه الليلة.. حقيقة الماضي وحقيقة المستقبل.. سؤال واحد لكل منا قد يفتح له أبواب النجدة والثراء وقد ينقذ حياته لو كانت ساعته قد أوشكت.. لذا اختاروا أسلحتكم بحرص شديد"

كانت هذه هي اللحظة التي تبادلنا فيها النظرات..

سؤال واحد لكل منا.. ترى أي سؤال ستختاره لو كنت مكاني؟!!

فكر جيداً.. فإجابة سؤالك، وكما قال السيد (منير) قد تفتح لك

أبواب الثراء، وقد تنفذ حياتك لو كانت ساعتك أوشكت.. أنا أعرف عن ماذا سأسال، وسؤالي أيها السادة سيُدرّ عليّ الملايين.. ملايين زوجتي الراحلة!

تلك اللعينة أخفت عني ثروتي قبل أن تموت، بعد أن أدركت أن هذا سبب زواجي منها في المقام الأول..

تلك الحمقاء!!.. لماذا تظن أنني تزوجتها إذن؟!!

أي شاب يتزوج امرأة يتجاوز عمرها ضعف عمره، هدفه واضح وصريح وإن أنكر الجميع هذا..

لا مكان للمواطف أو لعقدة (أوديب) هنا.. إنني (إنديانا جونز) الباحث عن الثروة، وتلك الحمقاء غمك الكثير..

بل الكثير جداً..

قطع السيد (علاء) حبل الفكارنا، بسؤال ساذج:

- "سؤال واحد؟!.. فقط؟!!"

أوما السيد (منير) برأسه إيجاباً، ثم واصل بث الشرح ونفث الدخان:

- "ثمة شيء آخر يجب أن نحذروا منه.. هذا اللوح يفتح الباب بين

عالمنا وبين عالم آخر لا يعلم إلا الله ما الذي يوجد فيه.. لذا فهذه البلورة



الرجاجية ستكون بمثابة جهاز الإنذار لنا.. حين تتألق البلورة باللون الأخضر  
سيعني هذا أن الاتصال بيننا وبين العالم الآخر قد نجح.. وحين تتألق باللون  
الأزرق سيعني هذا أن الكيان الذي سيجيب على أسئلتنا قد حضر..\*

ثم ابتلع ريقه، ليضيف:

- "المشكلة ستكون حين تتألق البلورة باللون الأحمر، ففي هذه الحالة  
يعني هذا أنهم حضروا.. اللون الأحمر هو لوهم.."

جاء دور (رحنا) ليهتف بعصية:

- "من هم بالضبط؟!.. لست أفهم شيئاً من هذا الكلام الملعن.."

أخذ السيد (منير) يبحث في غلبونة، وهو يجيب:

- "كما قلت آنفاً، لا يعلم إلا الله ما يحويه هذا العالم الآخر.. لكن  
اللون الأحمر يعني حضور أسوأ ما في هذا العالم وأشدّه خطورة.. لو تألقت  
هذه البلورة باللون الأحمر فسيعني هذا أن فرصتنا في النجاة من هذه التجربة  
ضئيلة، لذا أكرر.. من يرد الانسحاب فليفضل مشكوراً من الآن، فلا  
يحال للتراجع إذا بدأنا.."

ألجم الصمت الذي حلّ على المكان ألسنة الجميع، فعدت إلى خواطري  
المضطربة..

زوجتي بدأت تفهم الحقيقة منذ عام واحد تقريباً.. كانت مسته لكها

امراً، لذا كانت تفهم معنى تأخري الدائم عن المنزل ومعنى تلك الاتصالات  
الغامضة، التي يغفل أصحابها الخط في وجهها إن ردت هي...  
هناك أخرى.. وربما أكثر من واحدة.. وهذه هي الحقيقة!!

وحين واجهتني، كنت قد سأمت بقاءها على الحياة حتى هذا الوقت؛  
لذا صارحتها بالحقيقة برود وقسوة، علّ الصدمة تحقق لي هدفي في ميراث  
سريع ومضمون..

لكنها -اللعيبة- تلقت الصدمة بالهستيريا والدموع وبإخفاء ثرونها عني  
حتى لفظت أنفاسها في أحد الليالي وهي تعني بأقذع الألفاظ..

ما لم تعرفه هي حتى النهاية، أن وفاتها لم تكن طبيعية.. لم تكن كذلك  
قط!!

- "هل منبدأ أم ماذا؟!"

قالت السيد (منير) هذه المرة، ليجيبه صمتنا بالإيجاب، فقال:

- "ليخرج الكل الأوراق التي وزعتها عليكم.."

أخرجت تلك الورقة المطوية من حيب معطفي، وفضضتها لتجري  
عيناى على تلك الأسطر اللاتينية التي كتبها السيد (منير) بخطه الأنيق  
المنمق..



لست أفهم حرفاً مما أمامي الآن.. لقد شرح لنا السيد (منير) المعنى من قبل، لكنني نسيت.. على كل حال إنها ليست قصيدة شعر، ولا ينبغي عليّ أن أقرأ من القلب!!

عبث السيد (منير) بأحد الأزرار في الحائط وراءه، فانخفضت الإضاءة في الغرفة للحد الذي أصبحنا فيه نرى بعضنا البعض بالكاد، ثم وضع غليونه - أخيراً - جانباً، لنبدأ في ترديد التعويذة..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

كلمات كتبها السحرة في العصور الغابرة، ترددوها حناجرنا المرتجفة، وأعيننا معلقة على جثة الطفل وعلى البلورة الزجاجية..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

تنالق البلورة باللون الأخضر لتعرف أننا على الطريق الصحيح، فأنبت عيني على وجه الطفل الملطخ بالدماء الجافة منتظراً لحظة الحقيقة..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

اللون الأخضر يزداد تالقاً ثم يتحول إلى الأزرق الشاحب البارد، ليضفي على جلستنا الرهبة هذه مذاقاً خاصاً..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

الآن تحدث المعجزة، ونرى بأعيننا التسعة ذهبلاً ووجلاً، تلك الرجفة التي تمر على جفني الطفل، ثم تراه يفتح عينيه ببطء؛ لتحديق الجثة بعينين لا تريان في سقف الغرفة..

كان (علاء) يرتجف هلعاً.. و(رضا) يرتجف انفعالاً.. و(فهمي) يجاهد للحفاظ على تماسكه، بينما تبدت اللفهة في عيني السيد (منير)، وهو يرى الاتصال يتم بنجاح..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

الآن تتحول البلورة إلى اللون الأزرق.. والآن أتذكر كيف قررت ذات يوم أن أهي حياة زوجتي العسة بيدي، ما دامت تصرّ على البقاء حية..

عزوني كطبيب كانت تعني أن التنفيذ سيكون سهلاً، لكن الصعوبة تكمن في اتخاذ القرار ذاته..

صحيح أنني كنت أكره تلك المعجوز الشمطاء من أعماق أعماق قلبي، لكن أن أراها تموت كل يوم بتأثير ذلك السم البطيء الذي كنت أدسه بانتظام في دوائها، كان تعذيباً حقيقياً لأعصابي..

كنت أراها.. تضعف.. تنهار.. تفوي.. تتلاشى..

ولقد كانت هي تشعر أنني السبب في هذا كله!!

- من سيدا!!

قالتا (علاء) بصوت مرتجف، فأجابه السيد (منير) على الفور:

- "لا فارق.. ابدا أنت.."

احتشدت قطرات العرق في جبهة السيد (علاء)، ونطق بصوت مختنق انتزع من حلقه النزاعا:

- "سؤالي هو... هو... هل توجد طريقة كي لا أموت؟!"

ها هو ذا أول سؤال للنوح الحقيقة يبحث عن سر الخلود..

وكأنما يدفع السيد (علاء) هذا الإقام عن نفسه، قال دون أن ينظر لأحدنا:

- "إنني أموت.. تليف في الكبد..."

بالطبع كان هذا كافيا لي لأفهم.. تليف الكبد الناتج من الإسراف في شرب الكحوليات.. لا علاج له.. !!

تعلقت أعين الجميع على وجه الطفل الذي ظل ساكنا كأي جنة، ثم وببطء شديد فتح الطفل فمه ليروم..

يزوم بصوت ثابت عميق لا يمكن أن يصدر عن طفل بأي حال من الأحوال..

وبتوتر هف السيد (رضا):

- ما هذا...؟!

لكن السيد (منير) أخمصه بإشارة من يديه، لتظل الكرة في ملعب جنة الطفل..

الطفل الذي أخذ يزوم بصوت غير بشري..

صوت قادم من العالم الآخر!!

كنت خائفا وهذا ما لا يمكنني إنكاره.. ما يحدث الآن يفوق قدرتي على الاستيعاب، والسبب واضح وصريح..

هذا الطفل ميت.. جنة هامدة لا حياة فيها من أي نوع، فأي كيان هذا الذي يستخدمها ليزوم!!

استمر هذا الصوت الرهيب المبعث من الطفل طويلا، فاقترح السيد (لهمي):

- "هل.. هل نجرب سؤالاً آخر؟!"

- "لم لا؟!"

- "إذن، فسؤالي هو... هل... هل..."

ولسبب ما بدأت ملاحمه الأرستقراطية الجامدة ترتجف، ورأيت - لأول مرة منذ عرفته - يتلعثم وهو يمسح قطرات عرق وهمية عن جبينه، بمندبل حريزي فاخر، ليخرج سؤاله:



- "هل.. تخونني زوجي حقاً؟"

لبدت الصدمة في ملامح الجميع، إلا أنني شعرت بحق بالغ وأنا أتساءل في أعماقي إن كان هؤلاء الحمقى يفهمون العرص من هذه التجربة حقاً

الأول يسأل عن علاج لمرصه والآخر يسأل إن كانت روحه تخونه لهذا جئنا بلوح الحقيقة والخطة وقب بالمحاطرة في هذه التجربة المحيطة من أجل الهواء ذاته!

على كل حال استمر الروم المحيف المبعث من حنة الطفل دون أن يجيب على هذا السؤال أيضاً، فتعقب نظراتنا الحائرة على وجه السيد (مير) الذي أشار لنا بيده إشارة أنه لا يفهم ما الذي يحدث بالضبط

و دون أن أستاذن، ألقيت بسؤالي عله يجذب اهتمام الكيان الذي يسطر على جنة الطفل:

- "أين أخت زوجي ثروفا؟"

الطفل يزوم بلا انقطاع كأنه يسخر منا..

و لم تحمل أعصاب (رضا) كل هذا الاستمرار، فهت من على مقعده صائحاً:

- "ما هذا العبث؟ هل سيجب هذا الوعد عن أسننتنا أم ماذا؟"

أثار تصرفه المفاجي دعر السيد (مير) الذي أحل يردد شيئاً ما باللاتينية، ليتوقف الطفل عن إصدار تلك الضوضاء المخيفة، ولتطفي البلورة الزجاجية دفعة واحدة..

و بغضب هائل صاح السيد (مير):

- "أيها الأحمق أتريد أن تقضي علينا جميعاً بتصرفك هذا؟!"

- "إن كنت أحمقاً، فلماذا لا تفسر لنا أيها العبقري ما الذي يحدث بالضبط؟"

- "لا بد أن هناك شيئاً ما لم يفعله هذا هو كل شيء ساراجع أوراقك وستكرر التجربة في وقت لاحق.."

- "كررها عمردك إذن، فلن أشارك في هذا السخف ثانية.."

و دون أن ينتظر رداً، اندفع مفادراً المكان بثورة، لتركنا تبادل النظرات الحائرة..

كان السيد (علاء) شاردأ يفكر في كيد المقلب وموته القادم لا محالة، بينما بدا السيد (فهمي) مثيراً للشفقة بحق، وهو يحاول إخفاء وجهه بكفيه، وقد أفضى سره أماما على هذا النحو، بينما اكتفى السيد (مير) بأن أحد يشعل علبونه وقد أعاد الإصاء إلى الدرجة الطبيعية، قبل أن يقول

- "لا داعي لشلق سكر التجربة مرة أخرى لاحقاً بعد أن أعرف

ما الخطأ بالضبط..\*

كانت رسالته التي تطلب ما الرحيل وصحة، فهرّ (علاء) رأسه بشرود، وغادر المكان دون أن يطق بحرف، بينما وقف السيد (فهمي) وأحد يبحث في ذهنه عن شيء لائق ليقوله، فلم يجد سوى

- "ليلة طيبة.."

و غادر المكان ليتركني أشر إلى الجنة قاتلاً:

- "وماذا عن هذا؟!"

- "أتركه لي قليلاً ربما اهتمت له لأفهم ما الخطأ الذي حدث.."

لم أكن متحمساً للاحتفاظ بالجنة، كما أن الإحباط الذي أصابنا جميعاً، كان يدفعني للإسراع بالمغادرة، فقلت:

- "كما تشاء.."

و غادرت الغرفة، فانيلاً لأطلق بشارتي في الشوارع المظلمة بين بيوت المقطم الكئيبة..

ليلة أخرى من عمري تضع دون أن أعرف أن أحب روحي ثروتي

ليلة أخرى من عمري لن تعود مجدداً..

• • •

لكل الليلة لم تنته عند هذا الحد، ولا بد أنك توقعت هذا بصورة أو بأخرى..

كنت قد أوشكت على الوصول إلى منزلي حين دق جرس هاتفي انعمول، فرددت على الفور ليأتي صوت السيد (مير) يهتف بانفعال لم أعهد فيه قط:

- "(أنور).. تعال فوراً.."

قالها ثم أعلق الخط على الفور دون أن يحسني فرصة للرد، ودون أن يجب عليّ إذ أحدثت أحاول الاتصال به لأفهم ما الذي حدث

ثم - وقد تغلبت فصولي على حنفي - استدرت بالسيارة لأعود إلى المقطم، وأنا أصرب أحاساً في أسداس ترى هل فعلها؟

هل نصح؟

كانت الطرق شبه خالية في هذا الوقت، لذا لم ألق مشقة في العودة إلى تلك القبلا في المقطم، لأجد أن سيارة السيد (علاء) تقف في الخارج، فصاعف هذا من فصولي، لأخرج من السيارة متجهاً إلى بوابة القبلا، التي لم أندعش كثيراً حين وجلتقا مفتوحة..

ثمّة شيء ما حدث هنا، وأنا أشم رائحة هذا الشيء لكي لا أدري كنهه.. تجاوزت الردة وأنا أنادي بأعلى صوتي:



- "سيد (مير).. (علاء).."

لم يجي أحد فالتفت على الفور إلى الغرفة التي أجرياً فيها التجربة،  
ولتحت بائها و... و...

و كما توقعت أيضاً، وجدت الهول ذاته في انتظاري..

كان السيد (علاء) يقف قرب الباب، وجسده يتعصم بملح وعياه  
جاحتان بشدة، بينما أحد السيد (مير) يرحف على الأرض تجاهه وهو يمد  
يده أمامه وقد شحب وجهه بصورة مخيفة وتناقلت حصالات شعره على  
وجهه، ليبدو كدوني الأحياء في أفلام الرعب القديمة، وقد اكتسى المشهد  
كله أمامي باللون الأحمر الساطع، القادم من البلورة..

"لكن اللون الأحمر يعني حضور أسوأ ما في هذا العالم وأشدّه خطورة .  
لو تألفت هذه البلورة باللون الأحمر فسيهي هذا أن فرصنا في النجاة من  
هذه التجربة ضئيلة.."

هذا ما قاله لنا السيد (مير) وهذا يعني أن هناك كارثة رهيبة موشكة  
على الحدوث، إن لم تكن حدثت فعلاً..

انزعجت الصرخة من حلقى

- "سيد (مير).. ما الذي حدث؟"

بالطبع لم يجبي أحد، بل واصل السيد (مير) رجهه المحيث هذا تجاه

(علاء) الذي شله المذبح تماماً، ثم توقف السيد (مير) أحيراً وإن ظلّ يشير  
بيده الممدودة على (علاء)، لتخرج الكلمات من فمه، بصوت لا يمت له  
بصلة.

- "أنت.. أنت متقيء دماً حتى تموت.."

فالها ثم قماوى جسده دفعة واحدة!!

ها بدأ السيد (علاء) في إطلاق الصرخات المستعيرة، ففقدت أنا  
أعصابي عايب، وحملت أول مقعد أمامي، لأهوي به على البلورة الزجاجية،  
لتهشم بدوي أشبه بالقبلة..

سد الظلام الغرفة، ليرتفع صوت صرخات السيد (علاء) المستعيرة  
أكثر وأكثر، بينما المنيت أنا على السيد (مير) لأفحصه..

لكه كان قد مات حالة منتهية كما اعتدنا أن نسمي كل من غادروا  
عالمنا اليغيب هذا!!

ما الذي حدث هنا؟

و أين أصبحت حنة الطفل؟

اسهت إلى هذه الحففة الجديدة. في اللحظة التي دخل فيها السيد  
(رضا) الغرفة لصينها، ولبظر إلى المشهد الرهيب أمامه، قل أن يهف  
بعضيته المعتادة

- "ما الذي حدث؟!.. ما الذي؟"

لكنه سر مؤالده ليهوي على وجه السيد (علاء) بصفحة هائلة أخرجه على الفور، قبل أن يكرر هو مثاله.

- "ما الذي حدث ها؟!"

أجته محاولاً التماسك.

- "لا أعرف.. لقد وصلت لأحد أن السيد (مير) يموت وهو يشر إلى السيد (علاء)، والأسوأ من هذا أن جثة الطفل اختفت.."

- "ماذا تقول؟!.. (مير) مات؟!.. الطفل اختفى؟!"

ثم وبعملية بحمد عليها أسرع مفادراً المكان كله، تاركاً المأساة كلها على رأسه..!

لم أحد أممي سوى (علاء) الذي اثار يكي في ركن العرفة، فاعيت عليه لأسأله:

- "أخبرني ما الذي رأيته.."

لكن حاله أجابني بأن الحصول على رد منه، سيكون صرباً من الخيال، فتركته لأبدأ في البحث عن جثة الطفل التي اختفت.. لا بد أنها هنا في مكان ما.. لا بد لأنها جثة رغم كل شيء..

لكن نتيجته بخني الذي لم يسفر عن شيء، جعلتني أقف في ردهة الفيلا أرتجف.. الجنة اختفت.. السيد (مير) مات.. والسيد (رضا) هرب، ولا بد أن (فهمي) في الطريق إلى هنا، ربما يبدو أن (علاء) قد فقد عقله إلى الأبد..

ما الذي تفعله لو وجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟!

موت (مير) يعني أن هناك تحقيقات وشرطة وانهايات وسينم ذكر موضوع سرقة جثة الطفل من المستشفى والفرص من هذه التجربة وكل ما يكمي لتعلم حياتك إلى الأبد..

ما الذي ستفعله لو وجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟!

يطء قلبي أغمغم:

- "هذا المكان يحتاج إلى تطهير.."

و أبدأ في تطهيره..



الآن أقود سيارتي مبتعداً عن المكان، وقد ارتفعت السمة اللهب من العبلا لتصحوها من الوجود..

لا بد أن أحدهم استيقظ وأنه أبلغ الشرطة والمطافئ، لكن حين يصل هؤلاء سيكون الأمر قد انتهى، فلقد حرصت على إلقاء الجثث في كل ركن



في هذه العيلة المدعونة .

السيد (علاء) حسن لقد حاول إخراجه، لكنه كان قد فقد عقله تماماً، ولم أكن لأحاطر بخسارة كل شيء، أملكه من أجل مجون مصاب بتليف الكبد..

لست أعرف أين السيد (فهمي)، ولا السيد (رضا) الآن، لكنني واثق من أنهما لن يتحدثا لي هذا الموضوع مع أحد. مستمحي هذه الليلة من تاريخنا ببساطة وإلى الأبد..

الآن ألقود سيارتي وأنا لم أحسر إلا فرصتي في معرفة مكان ثروة روحي الراحلة، لكنني سأواصل البحث..

حتمًا سأجد المـ...

"روحك تحولت ثروتها إلى ماس، وأحنته في صندوق، دخلته في الصو"

ارتفع الصوت من المقعد الخلفي فانتصت بدعري، لأنظر إلى الشيء الذي جعلني أصاب بأهلع لأصرح بدعري هائل، ولأنقد التحكم في السيارة

إلى الطفل الذي جلس في ظلام المقعد الخلفي، وإن مرّ صوء مصابيح الإنارة في الشارع عني وحيه لحظة، لأرى أنه يسم إيسامة شيطانية محببة

لحظة واحدة رأيت فيها وجهه الملطخ بالدماء الخائف، وتلك الإيسامة

التي صاحبت جميع كوايسي بعد هذه الليلة ثم سمعت بوق تلك السيارة ورأيت مصابين عملاقين يتجهان تجاهي بسرعة خرافية.. ثم ثم ثم انتهى كل شيء بفتة..

• • •

فيما بعد عرفت أن السيد (فهمي) قتل زوجته في ذات الليلة وسلم نفسه للشرطة..

و عرفت أيضًا أن السيد (رضا) غادر البلاد بلا رجعة، بينما أعلقت قصة فيلا السيد (مير) اختراقه بعد أن عثروا على حثته وحشة السيد (علاء)، دون أن يجدوا دليلًا واحدًا يهتج لأقدام أحد به..

أما أنا فلقد نجوت من الحادث حقا، لكنني الآن مصاب بالشلل الكلي، ولن يمكنك أن تتخيل كيف أن قدرتي على تحريك ساقي اليسرى -آخر ما يمكنني تحريكه بإرادتي في جسدي- هي الشيء الوحيد الذي جعلك تقرأ هذه القصة..

ثروة روحي في صندوق مدفون في قبو منزلي بالمناسبة لو أردت المغامرة والحصول عليه، لكن يجب أن أحذرك أيضًا أنهم لم يعثروا على حثة لطفل في حادث السيارة..

في الواقع لم يعثروا عليها حتى الآن!!

لا أعرف - وربما لن أعرف - أين هو الآن . لكي أتقبله دوماً بحوب  
ظلال الطرقات بوجهه الملتفح بالدعاء الجافة وابتسامته الشيطانية المحيطة  
وحده يعرف حقيقة ما حدث..

وحده يعرف ما هو النقص الذي يدفعه البؤساء الذين تألق في وجوههم  
اللون..

الأحر

• • •

يرتقالي



"كنت أعرف أن تعلق ابني بهذه الدمية غير طبيعي كنت أعرف هذا لكي تجاهلته.. لهذا أنا أستحق"



من الصعب دائماً تحديد النقطة التي تبدأ من عندها الأحداث حين تقول (بدأ كل شيء منذ ) فأنت لا تحدد البدايه بدقة، إنما تحدد الوقت الذي اسهت أنت فيه لما يحدث طيلة الوقت من حولك، وحتى هذا يخضع لقوة ذاكرتك، ولا يوجد مثال أفضل مما قاله الكاتب العظيم (ماركيز)، حين وصف كتب التاريخ قائلاً:

~ "التاريخ ليس ما حدث حقاً بل ما تذكره وكيف تحكيه"

من الصعب إذن أن أحدد لكم متى بدأت استي في التغير، لكي سأقول أن كل شيء بدأ حين قرر روحي السفر فجأة إلى الخليج بحثاً عن المال الذي لم يجده هنا..

أي راحة تعرف تلك اللحظة التي يتحول فيها الروح من الخبيب ذي الصدر الدافئ، إلى مصدر تمويل المنزل، بل وتطالبه بها إن لم يفعلها هو بمفرده أنا أحبك نعم لكن هناك قراتير الماء والطعام والكهرباء والتليفون ومدرسة الطفل والملابس والمسبات، ولن يغني دواء صدرك عن هذا كله..

لقد سافر دوجي لانه أدرك أن دوره في المنزل تقلص إلى مائدة  
صرف بقود، عبيها ألا نصص علب بالأوراق المالية المحبة التي تشتري  
السعادة الحقة؟

من الصعب دانب تحديد بداية الأحداث، لكسي سأعود بذاكري إلى  
اليوم الذي اصططحت فيه طفلي (ربا) إلى السوق لشتري بعض الألعاب،  
وفي هذا حل أكيد ليكانها الدائم على احتفاء أبيها من المنزل هذا هو أجمل  
شيء في الأطفال؛ قدرتهم على النسيان.

(ربا) تبغ من العمر تسع سنوات. وهو العمر الذي تعرفه أي أم  
ونفسته به الوقت الذي يتعلم فيه الطفل كيف يكون مرعخا ومودنا في  
الآن دبه، وهو العمر الذي تعتاد فيه الأم على ضرب طفلها في محاولة بانهة  
لهديه، تسممر حتى يكرر هذ الطفل ويترك المنزل بلا رحمة، لكسي في هذا  
اليوم كنت أحرز معي طفلة بالسة، لا تفهم سر احتفاء والدها من المنزل رغم  
تعلقه الشديد بها من مستحيل على من في عمرها أن يفهم أهمية المال.  
وهذه نقطة أخرى في صالح الأطفال..

السخيف في الأمر أن حزن ابني كان صادقا وقولنا إلى الدرحة الذي  
جعل كل اللعب والهدايا في نظرها، أشياء حققاء سخيفة لا يمكن أن تحفف  
عبيها، والأسوأ من هذا أنني - ومع يؤسها المستمر - بدأت أدرك حقيقة  
أنني أصبحت امرأة وحيدة امرأة بلا رجل ومستولة عن طفل

صحيح أنني من شخخ فكرة السفر، لكن هذا لا يمنع من أنني ألتصق  
وجوده ألتصق صوته الرحوي وهالة الأمان التي يحيط بها المنزل كل هذا لم  
يعد موجودا لأننا نحتاج للمال اللعين!!

و هكذا بدأ الأمر يتحول من أم تحاول الترفيه عن طفلتها إلى لثاني  
ناس يجرب طرقت المدسة بلا هدف، حتى أنني قررت العودة إلى المنزل  
حيث يمكنني ممارسة حقني في البكاء بلا حرج، حتى توفقت ابني ليجاء أدم  
متجر للألعاب، وقد تعلقت عنهاها على دمية محددة..

دمية دب مكنز، في حجمها تقريبا، ويحمل وجهه ابتسامة واسعة  
مرحة، بينما تحديق عيهاها اليرتقاليان بإصرار في وجه الجميع دمية عادية  
لا تحمل أي ابتكار، لكنها حدثت اهتمام (ربا) فاعجبت عبيها لأقول بحدان  
هل تربيتها؟

هرت رسها الصنيل أن (نعم) فلم تمص عشر دقائق حتى كانت تحملها  
بين ذراعيها لتتجه إلى المنزل، وقد عدت وجهها الملائكي - أخيرا -  
ابتسامة رضا وحبور.

ألم أقل لكم أنها طفلة، وأنها متعسى!!.. لكن..

من يأتي لي بدب بي مكنز يساعدين على النسيان!!

لم ألحظ ما يحدث في بدايته لأنني كنت مشغولة..

إني الآن أعب دور الأم والأب، وفي هذا مشقة أي مشقة لم أعرف  
حفاكم لعب، الذي كان يريحه روحي عن صدري إلا في هذه الفترة،  
ورغم كوني ربة منزل لا تعمل إلا أنني كنت أعاني الأمرين كل يوم من  
اللحظة التي تتحرك فيها (رنا) فراشها وحتى تعود إليه..

في نهاية اليوم أحس وحدي على الفراش أسحل وبدقة مضارب اليوم  
وما تبقى من نقود وما يحب عني إدخاره - روحي لن يسافر إلى الأبد - وما  
يمكن اقتطاعه لحسابي الشخصي. وبعد أن أنهى من هذا، أظل بقية الليل  
أرملق الفراغ، الكس حواري على الفراش، والذي كان يحسنه حسد روحي  
منذ أسابيع قليلة..

مهما حاولت المرأة ستظل أهمية وجود الرجل في حياتها حقة لا لفرار  
مها

كان كل شيء يسير عني ما يرام، لكنني لم أعرف أن أنني لم تكن تمام  
هي الأخرى على فراشها..

ما عرفته بعد ذلك أنها كانت تقضي ليلتها كلها تتحدث..

تحدثت بصوت خافت مرتجف إلى دميتهما - الدب المكتنز ذو العيان  
البرقاليان..

مق عرفت هذه الحقيقة الجديدة؟

حسناً إنني أتذكر هذا اليوم جيداً...

• • •

كان يوم الين، وكنت قد استيقظت من المادمة صباحاً كمعادي لأعد  
طعام الإفطار لـ (رنا) قبل أن أوقفها لتذهب إلى المدرسة، لكنني حين  
دعيت إليها في غرفتها وحلقاً جالسة على فراشها وقد بدأ حلق من عبيها  
الغفتين والإرهاق اليدي على وجهها الملائكي، أنها لم تم إطلاقاً

سألها بقلق:

- رنا.. هل أنت مريضة؟

هزت رأسها أن (لا)، فسألت:

- ألم تنامي جيداً ليلة أمس؟

هزت رأسها أن (لا) مرة أخرى، فسألت:

- لماذا؟

ها ظلت (رنا) صامتة قليلاً كأنما تمتزج طاقتها لشجيب، ثم مدت  
يدها يطاء لشر إلى دها المكتنز دون أن سطق بحرف، فههمت أنا الموقف -  
كنت حقا ولم أفهم شيئاً لكنني لم أعرف هذا في حبه - وهمت فيها.



- أخذت تلعين طيلة الليل ولم تنامي.. أليس كذلك؟!

لم تجبي (ربا) هذه المرة، وبدأ وكأنها قد استعدت طاقتها كلها، فهررت أن أتركها هذا اليوم دون أن يذهب إلى المدرسة، وقلت بفيض

- إذن أرتاحي اليوم.. لا مدرسة..

لكي قبل أن أخرج أخذت الدب المكتوم معي وأنا أردف

- ولا لعب كذلك.. هيا.. نامي.

و هكذا أغلقت عليها الباب وعدت إلى عرقي لأظفر باليوم، وقد بدا أبي قد أحظي بساعات يوم إضافية هذا اليوم، دون أن يؤدي هذا إلى كارثة..

ألقيت بالدب على أحد الأرائك في ردهة المنزل، ثم ذهبت إلى عرقي لأدم، على أن أسيّظ بعد عدة ساعات لأعد طعام الغداء ولأواصل ظفوس اليوم المعتادة..

كان يوماً عادياً لم يستجد فيه شيء (ربا) استيقظت عصراً وقد بدا عليها الانعاش، وقضت يومها في مداورة دروسها تحت إشرافي، وفي نهاية اليوم سمحت لها بالجلوس أمام التلفاز قليلاً حتى أتت الساعة التاسعة مساءً، فحملتها حملاً إلى فراشها وأنا أقول:

- نامي جيداً.. مستعدين إلى المدرسة غداً.

و بعد أن أوت إلى فراشها، عدت أنا إلى عرقي لأواصل تسجيل مصاريف اليوم الجديد، وهي عادة غير مفيدة إطلاقاً في حالة الإدمان، لكنها تقتل الوقت قتلاً وهذا ما أحتاج إليه حقاً..

أتذكر يومها أبي - وحين نسلل العباس إلى حموي - قررت أن أمر على عرقي (ربا) أولاً، لأنك من أها (تأكل أرز مع الملائكة كما يقولون)، لكي لم أكده أصلاً إلى باب غرفتها حتى سمعتها تتحدث..

تتحدث بصوت حاد مرعف، لم أغير معه ما نقوله بالصمت لدا دحيت على الصور لأرى ما الذي يحدث بالصمت، فوجدتها تجلس على الفراش، وقد وضعت ديب المكتر - الذي التصعب عياد البرتقاليين على صوء القمر - أمامها تتحدث إليه بخوف شديد استحال إلى فرع حين رأني

كنت حمقاء ابه السادة، لذا فبم الفعل سوى أبي صرحت فيها وحدثت الدب من أمامها وأنا أهتف بصراة

- نامي فوراً.

و على عكس ما تخيلته، لم تقاوم، بل وبدأ الأمر وكأنه كانت تنظر من بأحد الدب من أمامها، فحملته معي خارجة من الغرفة لالقه في الصالة مجدداً..

لم أكن أعرف لم أكن أفهم وهذا استمر الأمر أكثر من هذا .

• • •

هكذا اعتدت أن أحمل أدب من أممها كل ليلة، لأؤكد من أنها  
منام .

اعتدت أن ألقى الدب على أحد الأرائك في الصالة، ثم أمام وعبر اليوم،  
وفي المساء أحمل الدب مجدداً من أمام (رنا) في غرفتها.

ما دامت ابنتي تحبها في هذا الحد، فلماذا كانت تحمله إلى غرفتها كل  
ليلة إذن؟..

سؤال بديهي لكني لم أفكر فيه قط. حتى جاء اليوم الذي دفعني للبدء  
في التفكير في هذا الموضوع..

كتب امر بطقوس اليوم المعتادة، وكنت قد بلغت دروة إرهافي مع  
حبول الليل، حتى أنني قررت أنه لا داعي لتسجيل مصاريف اليوم، لكني  
قررت أن أمر على غرفة (رنا) للاطمئنان عليها قبل النوم، وحين دخلت  
عليها كانت هناك معاجاة عجيبة بانتظاري في تلك الليلة بدأت القيق في  
تلك الليلة بدأت الحروف .

كاتب (رن) قد قصت رأس دميتها عن جسدها الذي ألقته في ركن  
الغرفة، بينما وضعت الرأس المثبت في حجرة، سطر إلى العين البرتقالية

بوجل، وقمس عذبة رأس الدب بخوف..

أي طعنة التي تلعب بهذه الصورة؟؟

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أترع الرأس من يدها، لأصرح فيها بعف لم  
أعتده في نفسي، بينما طلت هي صامتة على الفراش، تسيل دموعها قطرات  
على وحنيتها، وسهام من نار في قلبي لماذا يا (رن)؟.. لماذا؟

بالضغ أصابني دموعها بالهستيريا، وبعد كثير من الصخب كنت  
أحتويها في صدري ونبكي سوياً..

- لماذا قطعت الرأس يا (رنا)؟

- هو أخيري . قال أن الجسد غير مهم..

- من هو؟

- الذي يعيش في العينين البرتقاليتين..

• • •

الأطفال يصابون بالاضطرابات حين يفقدون أحد والديهم قرات هذا  
من قبل وأذكره الآن..

(رنا) تنفد والدها بشدة، وهذا هو كل شيء لا داع للإصابة  
بالجنون.. لا داع للانتحار!

(٧) مضطربة نفسيا لكن ما الذي علي أن أفعله أكثر من هذا "

بالطبع لم أكن قد وصلت بعد إلى المرحلة التي تمكنني من ربط كل ما يحدث بالدمية..

أنت تنظر لأن إلى موضوع من أعلى، مما يمكنك من رؤية الصورة كاملة، أما أنا فكنت تفصيلا صغيرة في الصورة الكاملة، لا يمكنها سوى أن تنظر إلى التفاصيل الصغيرة من حولها..

ذهبت إلى طيبة بحسبة خفا عن المشورة وبلى دحالة معروفة عفا عن الأمل ولم أترك بابا إلا وتوسلت أمامه عني أفهم ما الذي أصاب اسق بالضبط..

بها لا تتحدث إطلاقا لا تام ايذا لا تفعل شيئا سوى التحديق المستمر في عيني رأس الدب البرتقالية كأنما يجد في هذا الشيء راحتها الوحيدة. حاولت التخلص من رأس الدمية، لكن دموعها الصامتة كانت تجعلني أتراجع كل مرة..

بها طفلة بانسة تتعذب، فلماذا أحرمها من الشيء الوحيد الذي  
تريده؟

بالطبع لم أحد كلامها بخصوص الشيء الذي يعيش في العيين البرتقاليتين بحدة، بل اكتمت بالاعتقاد أن اسق أصيب بالخيال لشدة

الحزن، وأنه علي أن أساعدها بأي وسيلة..

كنت أعرف أن تعشق اسق هذه الدمية غير طبيعي كنت أعرف هذا لكنني تجاهله..

هذا أنا أستحق ما حدث بعد ذلك..

أستحقه تماما..



في أحد الايام واثاء غمولي في السوق لأشتري ضروريات المنزل، شعرت بذلك الماحس الخفي الذي تنشر به أي أم، والذي يحبرها أن طفلها في خطر هذا هو الماحس الذي يوقظنا في منتصف الليل لنجد طفلك الرضيع يكاد يسقط من على فراشه لا معمرات في الأمر لكنه شعور داخلي عميق..

كنت قد تركت (ربا) في المنزل - فهي لم تعد تذهب إلى مدرستها منذ زمن - لذا أخذت في طريق عودتي إلى المنزل أبي تصورات سوداوية عما يمكن أن يكون قد حدث..

لقد أشعلت النار في الشقة وهي الآن تخنق حتى الموت لقد دنت إصبعها في قابس الكهرباء لقد ألقت نفسها من الشرفة شيء ما حدث!



لكني حين وصلت إلى المنزل، وجدت ما هو أسوأ من هذا كله.

كانت ابني (ربى) تجلس على أرض الصلوة، ورأس الدب ذو نصيب  
البرنابليس، مما يصدق فيها بثبات، وهي كانت تكي بسيريا بحيفة كذا  
رأت مذبحه بحيفة ملة لحظات..

أَنْقَبْتُ مَكَرَ مَا فِي بَدِي، لَأَرْفَعَهُ مِنْ عَمَى الْأَرْضِ وَلَأُدْفِنَهَا فِي حَصِي  
وَأَنَا أَرْدَدُ بِجُوعٍ

- (وما) حبيبتي.. ما الذي حدث؟

////////////////////

- عرف يا حبيبي عرف بك تقصده، لكن لا بأس بأنصل  
به وأطلب منه أن يعود و...

..تتمة.. ٤٤ -

1991199219931994

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے۔

أصابني كلفاً بالجوارح، فلم أشعر بمشي إلا وأنا أرحها بعف،  
صارخة:

من قال هذا؟

بطء أشارت إليها إلى رأس الدب دي العين البرقالية

في هذه اللحظة شعرت في هذه اللحظة فهمت . في هذه اللحظة أدركت الحقيقة كاملة بلا دقوش..

وہاں تو کہتے ہیں کہ خطا ہی حیات ہے۔۔۔

تركنا طفلي وأسرعنا أعود إلى المستراح المخاور للمزل، لأحاول  
الاتصال بروحي يجب أن أسمع صوته الآن، ويجب أن يعود إلى المنزل  
اليوم!!..

وصلت إلى المسترال وطلبت الرقم بأصابع مرتجفة..

و مع مرة كان يحس فيها الرين المستمر كنت أفقد أعصابي أكثر وأكثر.. أين أنت أيها الوغد!!

وارتفع ذلك الصوت المقيت في أعماقي يردد- لقد مات لقد مات  
لقد مات لقد مات.. لقد مات.. لقد مات.. لقد مات لقد  
مات.

و بعد محاولات استمرت لساعة كاملة، أصبح عدي يقين أنني تحولت إلى أرملة..

من قال هذا؟

أرملة مسئولة عن طفلة محبولة..

(رنا).. لقد تركتها بمفردها.. يا إلهي!!..

و هكذا عدت أسرع الخطى إلى المنزل وأعصابي تحرق في رأسي، وحين وصلت إلى المنزل كنت أتمنى شيئاً واحداً..

أن أعر على ابنتي حية!!

و الواقع أنني عثرت عليها حية الواقع أنني أذكر هذا المشهد بالذات جيداً، فانا أراه في كل لحظة من حياتي وحتى الآن الواقع أن أحداً لم يصدق ما رأيته أنا في تلك اللحظة..

كانت ابنتي تقف في صالة المنزل وعلى وجهها تعبيرٌ جافٌ محيف، بينما صولها الخافت ينادي:

.. أمي.. أمي..

لم تكن شفاهاً تتحرك، لكني كنت أسمع صوتها واضحاً، وحين انتهت إلى مصدر الصوت الحقيقي، تجمدت الدعاء في عروقي..

وما حوذة تجاوزت ابنتي التي تحولت إلى تمثال صامت لم يطق إلى يومنا هذا، وحملت رأس دمية الدب دي العيين البرتغاليين الرأس الذي ارتفع

منه صوت ابنتي الخافت يقول:

.. أمي.. أنا هنا!!..





— أصغر —

سوف أخبرك بالقصة كلها لكن من فصلك لا ترفع صوتك  
إن اعصابي مرهقة بما يكفي ولا أتحمل أي نوع من الحماس بتطوع به  
الآخرون..

في مراجع الطب يطلقون عليها اسم (راشوبسيا) قليلة هي حالات  
(الراشوبسيا) قليل هم الأطباء الذين سمعوا عن (الراشوبسيا)  
تقول مراجع الطب إن مرضى الصفراء - حالات محدودة جدًا من  
مرضى الصفراء - يرون العالم أصفر هناك عقاقير معينة تسبب الحالة  
دائمًا..

من المحيف أن تر العالم وقد صار مصابًا بفقر الدم لو رأيت هذا على  
شاشة جهاز التلفزيون لأصابت الخلع وجريت إلى أقرب خبير إلكترونيات  
ليعالج هذا الخلل، أما أن تراه بعينك وأنت تعرف أن هذا هو ما تراه فعلاً،  
فإن هلعك لا يوصف بكلمات أما الأكثر إثارة للتوجس فهو أن هذه  
ليست حالة (راشوبسيا) لا يوجد سبب يفسر ما تراه الآن فهل هو  
الجنون؟



اسمي (محمد صري).. لا بد أنك خمنت ذلك.. لماذا؟..

لأنه لا يوجد واحد آخر في العالم يراه أصفر سوى (محمد صبري)

بدأ كل شيء كما تعلم عندما صحت من النوم ذلك الصباح لأحد أن كل شيء في الكون أصفر فركت عيني مراراً ونجعت إلى الحمام وعسلت وجهي وعيني غسلتهما حتى احترقنا تقريبا ثم نظرت للكون من حولي أصفر..

ماذا دهاني؟.. ماذا حدث؟..

فتحت نافذة ونظرت إلى السماء. ما زالت فيها ورقة احططت باللون الأصفر فصار المريج أقرب للحضرة من قال إن الأصفر جميل؟ أنا لم أر في حياتي ألحاح من هذه السماء الخضراء..

عدت للداخل وحاولت أن اتمايل.. ثمة شيء ما خطأ..

كنت أمني قد صحت من النوم متثابة خرجت من غرفة النوم وهي تحك شعرها.. ويدو أن وجهي أثار قلقها لأنها سألتني:

— ماذا بك؟

قلت وأنا أوسع عيني عن آخرها.

— أصفر.. كل شيء أصفر!

— بسم الله الرحمن الرحيم!

سألتها وأنا أرتجف في جنون:

— هل ترى العالم أصفر من حولك؟

قالت وقد زالت عنها إشارات النوم في لحظة:

— لا كل شيء على ما يرام لا بد أنك مرهق أن عادة السهر مع أصدقائك هذه..

قلت في عصبية وأنا أبعد عنها:

— لو كنا نقضي أمسياتنا في احتساء الخمر وتدخين الحشيش وقتل الأطفال فهذا غير كاف لتبرير ما أراه الآن..

عندما انصف اليوم صرت واثقاً من أن ما أراه لا يراه أحد سوى

ومر الوقت كالسيف حتى دنا عقرب الساعة من الثانية في هذا الوقت يتشاءب الكهنة ويتجهون — حاملين أسرارهم — إلى عياداتهم الخاصة ليبيعوا مقابل المال الكثير منه وأنا بحاجة إلى كاهن سامعته ما يطلب مقابل أن يمنحني قبساً من علمه..

الكاهن الذي قصده هو د. سمير عبد العليم دكتوراه في طب العيون ورميل عدد من الكليات الغربية أجلس في عيادته أرقب العالم الأصفر ماذا لو كتب علي أن أراه بهذا الشكل ما بقي لي من عمر؟ لا



لا لا مستحيل ما أراه علامة مرسية لا ريب فيها وهذه العلامة المرسية سوف تعلن لكاهن الأكبر عن مرض أكبر وأخطر مما يخطر على بالك في لكن ما المشكلة؟ من يريد أن يرى العالم أصغر مما ينبغي له من عمر؟ هذا حين حسب مائة في الخراب، كان آخر شيء أرحوه هو أن يقول لي:

— أنت سليم تمامًا..

ما تخشاه قد حدث.. إنها لعنة وأنت أول ضحاياها..

قلت له في عصبية

— لكنني أرى العالم أصغر!

قال لي حنكة:

— عيبك سليمان تمامًا روية العالم أصغر تحدث في حالات محدودة

جداً وبالتأكيد أنت لست حالة منها..

— والعمل؟

أشار إلى عيئه وقال:

— لا مشكله هنا (وأشار إلى رأسه بحركة ذات معنى وقال) مشكله

ها..

— تعني أنني مجنون؟

— الخيون كلمة ابتدئها من فرط الاستعمال هناك كلمة أخرى

اسمها الغصاب هناك أمراض في الملح تسبب استقياا الخواس بشكل خطا لا أعرف فقط أميك أن أتحدث عن ممكتي ومملكتي لا يوجد فيها مرور لرؤية الأصفر..

هكذا فارقته أحر أديال الحية ومخزكات كالموم مغاطيسيا انجعت إلى شقة أخرى في البناية التي تمع بالكهنة. هذا كاهن مع لا بد أنه يملك الجواب..

ثم بات رد كاهن الملح سريعاً بل أرسلني إلى كهنة آخرين قدموا بفحص رأسي بالأشعة..

وكهنة قدموا بتوصيل أقطاب مخي وقرأوا النتائج على الورق.

وفي النهاية قال لي الكاهن الأكبر ما كنت أخشاه:

— أنت سليم تمامًا!

— لكن ما أراه ليس سليماً!..

قال باسمًا:

— إنه يرهق لا شك فيه متناول بعض المقويات وأعتقد أنك

مشفى خلال أيام..

أي انه قال بعد كل هذا الجهد ما قاله أمي التي لا تقرأ ولا تكتب بعد  
ثانية واحدة.. ماذا يعلمون في تلك الكليات إذن؟

أصفر..

العالم كله أصفر السماء والسيارات وشعاع المبات والأرهدر  
وحقائب الطلبة والكلاب الضالة وعربات الإطفاء وإشارات المرور  
أصفر أوراقتي وثوبي الداخلية وشاشة التلفزيون وروحوه أصحائي  
أنا الوحيد الذي يعاني مشكلة كهذه وأنا الوحيد القادر على حلها  
سوف أسترجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

• • •

ليلة الخميس عند صديقي (شريف) عندما استبدت الملل ليلاً وقلت  
له إنني أعرف لعبة مسلية حقاً...

هات ورقة من الورق المقوى واكتب عليها الحروف الأبجدية كلها هات  
كوباً مقلوباً اجلسوا يا شباب حول هذه المصدة ولبصع كل ما إصبعاً على  
قاعدة الكوب ولنظلم المكان.. منجرب تحضير روح..

(شريف) كان قلقاً لأن هذه التجارب تتم في دارة لكنا سحرنا مه

وهكذا جلسا وهكذا مضى الوقت ونحن سنظر أن يحدث شيء

أحياناً كان أحداً يطلق مواء مفاجئاً فنشب في الهواء متريس . عندها كان  
يصحك بينما ننظر له في قسوة..

— "لا يُستحب المزاح في أمور كهذه.."

سنظر أبادل النظر مع (عصام) و(جمال) أنقضى ان أرواح الكوب  
بنفسي لأداعبهما.. لكن لا.. دعابة قاسية هي.

ومر الوقت.. وهنا يرتفع صوت (شريف):

— "كفى.. واضح أن هذه خزعبلة..."

ها بدأ الكوب يتحرك لا خداع في الأمر لا أحد هنا يتحرك  
بنفسه.. أنا متأكد من هذا..

يتجه الكوب إلى حرف (الكاف) ثم حرف (الفاء) ثم (الياء)

ك - ف - ي

ك - ف - ي

يهتف (شريف) لي حماساً مخرج بالهلع:

— "كفى.. يقول لكم كفى!"

الكوب يواصل الحركة:

ا - ن - ت - م / ت - ل - ع - ب - و - ن / ب - ا - ل - ن - ا - و

س - ت - ح - ل / ب - ك - م / ل - ع - ن - ه - ل - ل - ح -  
 - ي - ا - ط - ي - ن

هنا فقط لم تتحمل أعصاب (حريف) أكثر..

صرخ وأضاء النور ثم هتف بنا

— "انتهى! لا أريد هذه الأمور في بيتي بلدات لا أريدها في عرفة

بومي!"

ثم حمل الكوب وأطاح به من النافذة..

قال (جمال) بصوت مبسوح من فوق التوت:

— "ما رأيكم؟"

قلت بصوت مبسوح أكثر.

— "كان هناك شيء يقيناً.. وقد لبي لداء!"

قال (عصام) وقد بدت عليه الجدية:

— "المشكلة هي.. هل انتصرف؟"

نظرت له ونظرت للرفعة ولم أستطع الرد..

كان هناك شيء وقد أشرنا بأن لعبة الشياطين ستحل بنا لكالم

نعرف بعد هل انتصرف أم لا. الآن حينما أفكر في الأمر يبدو لي هذا  
 متاريو لعبة..

هل هي لعبة الشياطين حلت بعبي؟ ومدا عن باقي المتورطين ملوثي  
 الأيدي؟..

• • •

استرجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

في مكتب الدكتور (داود) أستاذ الكيمياء في كليتي..

لقد استدعاني - ليومني طبعاً - في ذلك الثلاثاء الحار دُخِب  
 مكتب فلم أحده لكي قنرت أنه عائد حالاً هناك كوب ماء على مكتبه  
 وقدح قهوة ساخنة..

هكذا سمحت لنفسني بالجلوس..

رحت أقامل صور أسرته على الجدار من الغريب أن لهذا الرجل أسرة  
 مثلك يلبس المئامة ويجلس أمام التلفزيون ويعيش في أصابع قدميه لم يولد  
 من بطن أمه بالنعطف الأبيض حاملاً تحت إبطه مظلوف أوراق لامعات

الطقس حار فعلاً هكذا مددت يدي إلى كوب الماء وجرعت جرعة  
 لا بأس بها مد طفولي أعني تلك المشكلة أما أشرب أولاً ثم أندرف بعد  
 هذا..



وهكذا أدركت أن هذا الذي شربته ليس ماء .. إنه سائل كوي له مذاق الرينق لو كان للرينق مذاق .. بصفتي في صديلي ثم سميت الأمر لأن الرجل دخل المكتب لحظتها فهبت واقفاً..

قال لي وهو يخرج أشياء من جيبه:

— اه .. ها هذا آيب يا أبا جهل .. إن درختك في امتحان أعمال السنة..

ثم تصلب ونظر إلى الكوب الفارغ وهتف:

— "من فعل هذا؟"

كنت أعرف أنني سألام على شيء ماء فهرزت رأسي في غباء بما معناه أنني لا أعرف.. قال وهو يمد تفحص الكوب:

— "عريب هذا .. كان خطأ فادحاً أن أضع المخلول في كوب ماء لكني لم أتوقع أن يدخل أحدهم مكنتي .. هذا ما تفعله الأمهات الجاهلات حينما يصبون صودا الفسيل في أكواب ماء لتبدو كاللبن، ويشرها الأطفال كل حالات احتراق المريء في عصر تعود لهذا السبب القبيح.."

وحك رأسه في ضيق وغمغم:

— "وأنا فعلت الشيء ذاته.."

سأله في حذر وأنا أتحسس بطني:

— "هل ما كان في الكوب صودا غسيل يا سيدي؟"

— "لبنه كان كذلك .. إنها تجربة أقوم بها حالياً وتائجها هي .."

ثم بدأ عليه نهاد الصر وقال وهو يجلس خلف مكتبه:

— "أنا متعكر المزاج الآن.. عد إلي في وقتٍ آخر.."

متعكر المزاج؟.. ومنذ متى لم يكن كذلك؟

الآن أتذكر هذا الحادث وأسأل نفسي: هل للسائل الذي كان في الكوب علاقة بما حدث؟

• • •

استرجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

(وسلوى) الفتاة التي صارت كل شيء لي حياتي تسد رأسها إلى الشجرة..

لم أر حتى هذه اللحظة إنساناً أو جماداً أو مكاناً أو حيناً أجمل ولا أرق منها.. لقد ذهبت بصواي تماماً..

أذنو منها وأمس في أدفا كم أحبها..

تنظر في شروء إلى الأفق وتهمس:

— "لا أعرف .. لو انت عرفت حقيقتي .. لو عرفت من أنا حقاً .. فلربما

بدلت هذا الرأي

هذا مشهد من فيلم عربي هل متفادحي بان أمها واقصه أو ان أبها هو (خط) الصعد؟

نقول وهي تنهد:

— أنا من عالم آخر أو الأشياء ليس كما نروها اسم أسمع الأصوات ليس كما سمعناها أنتم.. أنا مختلفة.. هل تفهم هذا؟

فعلأ هي مختلفة مد جاءت إلى الكبة مد ثلاثة اشهر وكل واحد ما يدرك ألها مختلفة.. لقد جاءت من عالم آخر فعلاً..

قلت لها

— أننى أن أكون معك في هذا العالم..

نقول وهي تنظر لي في شفقة:

— لن نحب هذا يا مكين . ربما تصحو يوماً لتجد السماء حصراء والعشب أحمر.. ربما تسمع رائحة الياسمين وتشم النجوم.

— ما دمت معك فلا أبالي لو شممت عبق الحمير وسمعت الطين

ضحكت كثيراً ثم قالت لي في ثبات:

— هل أنت متأكد؟ ..

— متأكد..

مدت لي إصبعها وقسمت:

— فم إصبع إصبعي وسأجرح إصبعك سوف يتبادل الدماء وهنا نصير من عالمي وأصير من عالمك..

لم يبد لي الأمر صعباً إن التهاب الكبد اليوناني يتقل بطريقة مائة على ما أذكر لكن الروماتية جعلت كل شيء ممكناً وفعلت كما طلبت واسترجع دماغاً..

قلت لمسي وقبها إنها روماتية كل الروماتيات يقس الكلام دالة..

لكن — الآن يتصلب شعر رأسي — ماذا لو لم تكن قرح؟ ترى الأشياء لا كما نراها نحن.. السماء خضراء؟!

ترى أين كانت (سلوى) قبل أن تظهر لي كليتها؟ لا أحد يعرف عواهد أو رقم هاتمها ولم يرها أحد تأكل أو تشرب من قبل

وأنا غلطت دمي بلحمها!

• • •

استرجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

صديقي (علاء) هو الذي أحضر اللقافة...

قال لي صاحكًا

— "لم يجرؤ أحد على فتحها قط..."

صحكت بدوري في حكمي ونحسنتها كان ملمسها عجيبًا فعلاً

قلت له في قلق:

— "هذه قمة خطيرة.. سرقة آثار لا يمكن إنكارها..."

قال وهو يضع اللقافة في يدي.

— "من سرق ماذا؟" قلت لك إني وجدتها في الأقصر. ولو لم أدها

لي جيتي لأفعل أحدهم نفس الشيء..."

قلت له في شغف:

— "هل تعرف شيئاً عنها؟.. إلى أية أسرة تنتمي؟..."

مط شفته السعلى بمعنى أنه لا يعرف ثم أضاف ساخراً:

— "تتظاهر بالمعقولة. ولو قلت لك إنها من الأسرة السادسة مثلاً لما

فهمت شيئاً، ولما استغذت من هذه المعلومة..."

ثم أردف وهو ينظر حوله في حذر:

— "هذه الأشياء تكون ملعونة. رأيي الخاص ألا تجارف بفتحها."

قلت في ضيق:

— "وهل تريد أن نبقها للأبد كحِرَز؟"

— "لا أعرف..."

— "الفضل قتل القط، وأنا قطٌ كبير..."

ومددت يدي أعالج أربطة الكتان المخيطة بها. كانت هناك لوحةٌ على

صدر الشيء. لوحةٌ دقيقة أبيض غثل عين (رع) وقد حرحت منها اشعاعات

صفراء... كأنها شمس أخرى...

— "جيلة... لحظة قبية..."

— "لكن ما معناها؟"

— "عالبًا تعد بأن (رع) سيحرب بيت من يصح هذه اللقافة."

وواصلت الفصح. أخيراً بدأ لنا الجمود العملاق بحجم كف يدك

كان مشيراً للاشتزاز، لكنه جعل أنفاسنا تنفخ في انبهار.

قلت لـ (علاء):

— "كما ترى لم يحدث لنا شيء. لا أعقد أن الفراعنة كان عددهم

وقت كاف لحماية مومياء جيران..."

اليوم أفكر في الأمر ملياً. لماذا عين (رع)؟ ولماذا اللون الأصفر؟



أسترجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

هل هي لعبة الشياطين حلت بشباب عاث يلعب بالدار؟ أم هي وصفة  
كيميائية شريرة ذات آثار جانبية مخيفة؟ أم أنني فعلاً عبرت لعالم (ملوى)  
وصرت منه عالم الدين يرون كل شيء بلون مختلف؟ أم أن لعبة كهة  
(رع) أصابتني...؟ أم أنه لا تفسير هالك؟

كل شيء من حولي أصفر..

الكنب الأبواب رجال الشرطة القفط السماء السيارات  
شعده الفتيات الأزهار حقائب الطلبة وجهي في المرآة الكلاب  
الصالة عربات الإطفاء أوراقني ثيابي الداخلية شاشة التلفزيون  
وجوه أصحابي ساعة الحائط أوراق العملة الخديقة ثوب أمي شعر  
أبي الهاتف متاحر وسط البلد الشاي القهوة السحائر الخمران  
معطى الدكتور (داود)..

أصفر..

وأنا جالس في غرفتي وحيداً أسترجع خيط الأحداث وأفكر ما  
الشيء الذي جعلني أرى العالم أصفر؟..

أنا لا أعرف.. فهل عرفت أنت؟

• • •

أخضر

• الواقع أنني أكره عملي هاهنا . الواقع أنني لا أجد جدوى لحياتي ذاتها  
الواقع أن الشيء الوحيد الذي يدفعني للاستمرار هو ..... الدكتوراة (مسألة)

• • •

### السبت 15 مايو..

القائدة الوحيدة للملل هي أنك تجد الوقت الكافي لكتابة مذكراتك  
صحيح أنه لا يوجد شيء ذو قيمة في هذه المذكرات، لكنها مذكراتي أنا ولا  
لعي أحداً سوى . لا أحتاج لأن أكون رائد فضاء لأحظى بشرف كتابة  
مذكراتي!

أنا عامل نظافة بالمساحة، وهذا قد يدفعك لترك القصة والانتقال إلى  
القصة التالية، لكن من سيتجوررون امتعاضهم من عملي هذا، وسيواصلون  
القراءة، قد يكتشفون أن حق عمال النظافة قد يوجد لديهم ما يقولونه في  
بعض الأحيان..

هذا هو ثاني أيام عملي في مؤسسة (اسم لاتيني معقد لا يمكنني نطقه أو  
حقى كتابته!) التي تدير سلسلة من الأبحاث العلمية عن أشياء لا يعرف إلا  
أقله الغرض منها بالصبط. أحدهم يقضي حياته أمام فأر أبيض في قفص،  
وآخر يحقن الفواكه بعقاقير عجيبة، وهناك من ينظر طيلة اليوم إلى شريحة

صينة عبر ميكروسكوب، ليدون ملاحظاته كل نصف ساعة

و هناك الدكتور (مال)..

حين عرض عليّ قريبي - وهو عامل نظافة هو الآخر - العمل هنا، لم اكن متحمساً عليّ الاصلاح، لكني كنت في حاجة إلى المال أي حال بأي طريقة ولاشي لا اجد السرفه او الصب ومصاب بمرض نادر في العصابات معني من العمل كدع متحول، بد أن العمل كعامل نظافة هو الحل الأمثل لي..

أقبل القدمة من سلة المهملات إلى العربة التي آخرها أمامي طيلة اليوم، ثم أفرع العربة في اسوب خاص في قبو لمسي هذا هو كل شيء، والأمر لا يحتاج لمواهب خاصة كما لاحظت المشكلة هي أنني متعلم - حصلت على الإعدادية - وعين العلم الوحيد هو أن نصبت قد تعرف عن ممارسة الأعمال التي يؤديها الجهلة بنفس راضية مطمئنة..

لكن هناك الدكتور (مال) .

أعشق القراءة مد صغري، لكني من أسرة لا تسمح إمكانيات المادة باتباع الكتب إلا المستعمل منها وإن نقصت صفحاته، وها هي المشكلة دي تنكرر أن ها أقضي طيلة اليوم، في لا شيء تقريباً، ولا يوجد أمامي ما يصلح للقراءة سوى تلك المرجع الصحفه، ذات الأغنية المصقولة.

والكلمات اللاتبية التي تحتاج إلى أكثر من شهادتي الإعدادية لهلك طلابها..

الحل إذن.. أن أكتب مذكراتي.

وسيلة لا بأس بها لقفل الوقت، وإن كان عليّ تحمل نظرات استغريبة من زملائي والعاملين هنا..

عامل نظافة يكتب مذكراته.. باللهول!!

لكن هناك الدكتور (مال)..

إنها إنها رهرة هذا المكان السمة الوحيدة التي غر غير الممرات الكنية لهذه المؤسسة الوحيدة التي أقعني بأن العمل هنا لا بأس به، إن كنت ماصب انضمامها كل يوم وأنت لم تر انضمام الدكتور (مال)!

صدقني.. إنها تستحق..

لكن ما الذي تفعله الدكتور (مال) بالضبط؟!

الواقع أن هذا يستحق بعض الاهتمام..

• • •

الأحد 16 مايو..

امتع ما عكس لإنسان فعله هو أن يراقب الذكورة (مال) وهي تعمل

ترتدي المعطف الطبي الأبيض تدخل الى تلك الجمعية الطبيعية التي صممها المؤسسه حصيصاً لها تمارس بحرها على البساتين وموسيقى هادئة تبعث من جوار السجل بالنسبة لهم من يديرون المؤسسة لكل باب داخل الجمعية اسم علمي ممن، ومنهم بالتجارب التي تمت على هذا البات، والذكورة (مال) دائما تمثل ملفاً هي الأخرى، يسجل فيه كم ما حققته للمؤسسة حتى الآن من نتائج.. هذا بالنسبة لهم..

بالنسبة لي كانت الذكورة (مال) تبدو كسندريلا وسط الزهور وأوراق البساتين، كما تصنع معهم لوحة طبيعية متحركة، هي بطلها الوحيدة..

كانت الذكورة (مال) دائماً ما ترحب بي داخل محبتها، وكثيراً ما مركبت أراقبها وهي تحمل أصيص ررع، لتضعه على جهاز عجب، يُحوّج شرائط ورق عليها خطوط متموجة..

أي أتمنى أن يفهم معنى هذه الخطوط، لكن الذكورة (مال) شرحت لي إنها تعبر عن إحساس البات، فهي تنساب بعزّة حين تتوفر للبساتين البيئة المثلى، بينما تتلوى بحزن، إذا قطعت أحد أوراق البات وهو على

الجهاز..

"البات يشعر ويتألم.. وربما يُحب!"

هكذا قالت لي الذكورة (مال)..

• • •

الاثنين.. 17 مايو..

اليوم أخبرني الذكورة (مال) أنهم عثروا على فصيلة بادرة من البساتين على يدور هذه الفصيلة بالتحديد سبع يدور لمزيد من الدقة أخبرني الذكورة (مال) أن البدة الواحدة تساوي ثروة، لكنها إن نجحت في ررع أحد هذه الدور في البيئة المناسبة، وقامت بإجراء تجاربها على البات ذاته، فقد تحقق السبق العلمي الذي طالما سعت إليه

ساعدتها بنفسها على إعداد أصيص الررع، وذلك البدة الأولى في السداد الصناعي الذي يحتوي على كل ما يشتهي البات من مواد وأملاح لم يكن الأمر شاقاً بالطبع ولو كان، فالذكورة (مال) نستحق

أخبرني الذكورة (مال) أن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً، وهذا معتاد وأنا أثق في كل ما تقوله الذكورة (مال)..



كل ما عليّ فعله هو أن أدعو الله أن يبت هذا النبات سريعاً من أجل  
الدكتورة (مال)..

وهذا ما سأفعله!

• • •

الثلاثاء.. 18 مايو..

لكم هي متفانية.. لكم هي رائعة..

أراها كل يوم - الدكتورة (مال) ولا أحد سواها - تعني بأصيص  
النبات الجديد. كأنه طفلها الرضيع. أحياناً أشعر أن هذه الدور داخل  
الأصيص هي أول رابط حقيقي ما - كما أبا الذي لم يولد!

نجلس يومياً نراقب الأصيص لساعات طويلة، منتظرين تلك اللحظة  
الجهمية، التي سيخرج فيها البرعم الأخضر إلى السماء، لعل عن  
وجوده.. لكن الانتظار مطول ونحن نعرف هذا..

رأيتها وقد استبد بها الفصول، تضع أصيص النبات في الخيار الذي  
يسجل الموجات التي يصلوها النبات، وقالت:

سأعلى الأقل سنعرف إن كانت البذرة حية..

لكن شرائط الورق التي خرجت من الجهاز، كانت تعمل خطأ مستقيماً

طويلاً، كالذي يصدره جهاز رسم القلب حين نحس لحظة الهبة - لقد رأيت  
جهاز رسم القلب حين كان متصلاً بوالدي - يرحمها الله - وأعرف معي  
هذا الخط السخيف جيداً..

بدا الإحباط على الدكتورة (مال)، وقالت:

سأتركه للغد، ثم سأجرب مع بذرة أخرى..

حاولت مواصلة، لكنني وكما قلت من قبل، لا أملك له سوى  
الدعاء..

وهذا ما سأفعله مجدداً..

• • •

الأربعاء.. 19 مايو..

لا زلنا ننتظر..

• • •

الخميس.. 20 مايو..

قررت الدكتورة (مال) الإنقاء على الأصيص الأول، لكنها وصفت  
البذرة الثانية، في أصيص جديد، ولا زلنا ننتظر..

• • •

الجمعة.. 21 مايو..

مق يأتي القدر!

• • •

السبت.. 22 مايو..

مريضة من الإحباط!

• • •

الأحد.. 23 مايو..

لم أتوقع أما أو الذكورة (منال) تلك المفاجأة المذهلة!..

كما أول من وصل أي مؤسسة كمدينة مدبرة، لسرع موبيا إلى  
الخمسة الطبيعية على أمل مستمر في جديد.. أي جديد..

لك هذه المرة حين وصل كان المشهد أمام أشبه بمعجزة

كان أصيخ الررع أماما وقد تدب البات البادر بصورة جهمة،  
في صورة مجموعة ضخمة من السيفاد، الخصر، الملتفة حول نفسها بتشكيل  
عجيب معقد، وبارتفاع لا يمكن حدوثه في ليلة واحدة..

ليس هذا فحسب، فأحد الأصعب كان على جهاز تسجيل الموحات،  
الذي أخذ يهدف في وحوها شرائط ورق يحمل تموجات عشية، لم أر مثليها

من قبل..

لا يمكنني أن أصف لك كيف كانت حالة الذكورة (منال)، لكني  
سأحاول دهنها من هذا الذي حدث، وسأفصل لك اللحظة التي أمسكت  
فيها شرائط الورق، لتعكس التموجات باهتمام علمي يليق بها تمام

استغرقت وقتاً طويلاً، قبل أن تقول:

- لست أفهم..

تجرات أنا لأسأل

هل يتألم هذا النبات؟ أعني ربما لا تنامبه البيئة هنا..

لكنها هزت رأسها لتقول:

- لا هذه التموجات طبيعية، لكنها فضيحة، كان عامة كاملة التي  
نصلرها..

وعادت لتفحص الأوراق، مكررة:

لست أفهم.

لدت بالصمت لاسمح لها بالتركيز، وحين طال صمتها قررت أن أتركها  
لأواصل عملي - إني لست المستول عن مراقبتها هنا - لكني قبل أن أترث  
المكان، التفتت إلى الذكورة (منال) لتسأل:

لحظة ان لم صبح هذا الاصبحت في احبها امس كيف انظر  
إذن؟!!

• • •

الآن 24 مايو.

الدكتورة (منال) تغيرت.

لم تعد تلحظ وجودي، بل أصبحت لا تلاحظ أي شيء يحدث حولها،  
وقد انصب اهتمامها كله على ساقها النازلة، يدي ممددة أمامه دون سبب  
مفهوم.

إيه.. إنه يتأفك على الدكتورة (منال)!

اليوم مررت عليها لتسعة أحر الطيور، حين حدث ذلك الشيء  
العجيب الذي أثار هلهلي..

كانت الدكتورة (منال) تمسك بأحد أوراق النبات تفحصها بعناية  
مبكرة، وكنت أنا عند الباب في هذه اللحظة، أناديها قائلاً:

-أي خدمة يا دكتورة (منال)?

ويبدو أنها كانت مستغرقة غاماً فيما تفعله، إذا انصت على صوتي،  
والصوت بي وحدة وهي لا تزل تمسك بورقة النبات، لتخطعها دون قصد

دون قصد لكن النبات لم يقدر هذا..

فجاء صوت فروع النبات كند بحركة العواية عجيبة، وأخذت ذلك  
الخيار الأخضر في سماء الغرفة..

أخضر.. أخضر.. أخضر.. لتوان استحال لون المكان كله إلى  
الأخضر..

صوت المنبس الصادر عن النبات امرح بصراحة الدكتورة (منال)  
المدعورة، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أقف في اللون الأخضر أمامي، لأشده  
من أي شيء قد يمرؤ على التعرض لها..

كانت الروية معدمة أمامي، لكن العجب أن هذا البحر كان بلا  
رائحة على الإطلاق كأنه مجرد صبح للهواء، نكتي تجاهلت هذه الحقيقة  
حينها وأحدثت الخمس طريقي حتى اصطدمت بدراع الدكتورة (منال)  
لأقبض عليها بقوة، هاتفاً:

-لا تغلغي.. سأخرجك من هنا..

لكن بدأ حديدية قبضت على عفي بغتة لتخرسي، وتبدأ في اعتصاره  
بقوة لا ترحم!!

وكرر فعل طبيعي اردادت فود قبضتي التي تقبض على دراع الدكتورة

(مال) فارتفع صوت صراخها أكثر. وقد أصابها هذا اللون الأحمر -  
اللبن - بالعمى تمامًا..

كتب أختي وبدا وكأن حجري مستهشم في أيدى لخطه، فحركت ذراع  
الدكتورة (مال). لاحظت بعد ذلك اليد المجهمة عن عيني مكن دون  
جدوى..

احسب ببطء واللون الأحمر نهج يغمرني من كل صوب!

يتحول ليلون لأحمر أي أسود وقد غاب الهواء من حملي، وسراحي  
ذراعي حوارى سسسلام وصراخ الدكتور (مال) بردد في أدنى و  
...

وما حدث بعد ذلك رواه لي قريبي الذي أحضرني إلى هنا..

صراخ الدكتور (مال) أحدث الجميع في الخيبة، حيث تعادوا على  
إخراجنا حين - لحسن الحظ - لكن هذا ليس كل شيء..

شيان أخبرني بما قريبي أثارنا ذعوري، وإلى أقصى حد..

أولاً أنه لم يكن هناك دخان أحمر حين دخلوا الخيبة لم ير أحد  
هذا الدخان!!

ثانياً.. أن اليد التي كانت تقبض على عيني، والتي كادت تفعلني

كانت يد، الدكتور (مال) دائماً!!

• • •

الثلاثاء.. 25 مايو..

لم أستطع الذهاب إلى العمل، إذ لارلت تحت تأثير صدمة الأمس

تري أين هي الدكتور (مال) الآن؟!!

• • •

الأربعاء.. 26 مايو..

الدكتور (مال) لم تات إلى العمل اليوم..

• • •

الخميس.. 27 مايو..

لقد بدأت أقلق على الدكتور (مال) إنها لم تات اليوم أيضاً

• • •

الثلاثاء.. 2 يونيو..

لقد أختت الدكتور (مال)!!

قصبت الأيام المأصبة في انتظارها ثم بدأت أبحث عنها، حتى أنني تمكنت



- بوسيلة ما - من الحصول على عنوان منزلها، وذهبت إلى هناك لأطمئن عليها - وإن كان هذا ليس من حمي في الواقع - لكي لم أجدها هناك كذلك..

أين ذهبت الدكتورة (منا) ١٩٩؟

• • •

الجمعة.. ٦ يوليو

لم أعد منتظما في كتابه مذكراتي لكن ما حدث اليوم يستحق التسجيل حقا..

في الساعة مساء كتب أتبع ذلك الريح الشرقي الشهير، حين سمعت طرقات على باب منزلي، فهست مملأ لأفتح الباب، وإن أدعو الله ألا يكون الحارس قد استبد برفاتي، ودفعهم لمعني، إن ما، لكي حين فحنت الباب أطلت عليّ الدكتورة (منا)، بابساتها المدهة، بصبيتي بخانه من الدهول عجزت معها عن النطق..

كانت هي من نطقت لغول:

مرحبا .

- أين كنت ١٩ بحثت عنك في كل مكان أعني لقد فقت و

-ارتد ملابسك وهيا بنا..

-إلى أين؟!

-إلى هناك.. إلى الخمية..

سأخاور كل العاصيل التي لا داع لها وسأفهر إلى اللحظة التي دحما فيها إلى الخمية لسجد بيانا البادر وقد استطل حتى كاد يلامس السقف لست أفهم شيئا في النباتات، لكن عمو هذا الباب غير طبيعي وأنا أتق في هذا..

"هذا النبات غير طبيعي.."

فلنبا الدكتورة (منا) وكنت أعرف هذا عبقا، ثم واصلت -الدخان الأخضر الذي نفسه- لقد كان ذا تأثير غير طبيعي لقد قصيت الأيام الماضية في دراسة تأثير هذا الدخان علينا..

سأنتها بملو:

سوهل توصلت إلى شيء محدد؟!

نعمس نبض يدك رجاء..

- لماذا؟!

-لأنك لن تشعر بشيء..-

ماذا؟!!!

وتحسست يدي بدهنة بحث عن أي بص، فحولت دهشتي إلى دعر حقيقي حين شعرت بيدي الباردة مئة غمافاً، لا بص فيها ولا حياة

ألفت إلي الدكتور (مال) سماعة طيبة قانلة بداب الشرود

-خذ هذه لو أردت إياك، لكني سأخبرك بالنتيجة مسبقاً لا

بعض... قلبك توقف عن الهمعان.. مثل قلبي بالضبط..

شعرت بالسحب مما أسمع، لكن يدي الباردة ظلت صامتة، لا تنقل إلى أذني أي بص، فجريت أن أصع السماعة الطيبة على صدري، وبعد إصغاء استمر لبضع دقائق تأكدت لي حقيقة أن قلبي متوقف عن العمل غمافاً..!!

خط طويل صغير هذا هو ما سيسجله جهر رسم القلب لو وصلوه إلى صدري الآن.

سألت والأفكار تنور لي رأسي:

- وما الذي يعنيه هذا؟!!.. هل.. هل متنا؟!!

لكن إجابتها جاءت أكثر غرابة.

- لا... لم تمت... بل تحول..

• • •

السبت.. 7 يوليو..

من الآن عليّ الانتظام في تسجيل مذكراتي لتسجيل أي تغيرات تطرأ على جسدي كما طلبت مني الدكتورة (مال)..

عادت الدكتورة (مال) إلى العمل، لتواصل دراستها على ذلك النبات الشيطاني، المستمر في النمو، حتى كاد يحتل الخيمة الطبيعية كلها، بسمائه المتلونة، وأوراقه التي تُصدر ذلك الغار الأحضر إذ قُطعت

يجب أن نفهم ما حدث لنا.. يجب.

حين عدتُ إلى المنزل، فحسنتُ جسدي أمام المرأة بحثاً عن أي تغيرات، فلم أجد شيئاً غير طبيعي..

لأرتُ بحفاً كتيب الملامح، ولا زالت عظامي البارزة تؤكد على فقري المدقع.

فقط لا قلب بص رغم استحالة هذا طبيًا أو علميًا كما أكدت لي الدكتورة (مال)..

لكنا قررنا الاحتفاظ بهذا كله مرًا، حتى نستطيع الدكتور (مال) كشف طبيعة ما أصابنا..

تري هل نستطيع الدكتور (مال) فعل هذا حقا؟!!

• • •

الأحد... 8 يوليو..

على الأقل أصبح هناك رابط حقيقي بيني وبين الدكتور (مال)

جالسا العجينة أرالت حواجر كثيرة بيسا، وأصبحت أقصى جم وفني معها في المهمة الطبيعية، حتى بعد انتهاء الدوام الرسمي...

لا حظا أنا فقدا شهيتنا للطعام، كأنما أصبح جسدا الميت بأي أي طعام. كذلك تقبضت ساعات يوما إلى ساعتين فقط ويدو أنا في طريقنا للإصابة بالأرق الدائم...

الدكتور (مال) تحولت إلى آلة رصد، ترف كل ما يفعله النبات، وتدرس تلك التموجات المتصغمة التي يصدرها، على أمل أن نحمل لنا أي تفسير..

على كل حال لم يحمل لنا اليوم أي جديد..

فقط لاحظت أنني حين جُرحت يدي بطريق الخطأ، لم أنزف أي دم

مؤال آخر نتظر أن يجينا عليه هذا النبات النادر..

فهل يفعل؟!!

• • •

الاثنين... 9 يوليو..

لم بعد سام وأصبح الإرهاق هو السمة الغالبة علي وعلى الدكتور (مال)..  
المستولون عن المؤسسة لا حظوا وضعنا ولم يبدوا أي اعتراض، ولا بد أنهم أعدوا ملفا جديدا عني يسجلون فيه ملاحظات مبهره

لكن ملف النبات ذاته ظل يحمل علامات استهزام لا إجابات لها، حتى قررت الدكتور (مال) إحراء تجربة عجيبة لم أفهمها بالضبط، لكي سأنقل لك ما قالته لي حرفيا:

محاوّل تحويل هذه الموجات التي يصلها النبات إلى صورة أخرى من صور الطاقة، علنا نفهم ما الذي تعنيه..

وعملًا بهذه القاعدة أحصرت الدكتور (مال) مجموعة عجيبة من الأجهزة، أحدث توصلها بالجهاز الذي يُسجل موجات النبات.

وأخذت أنا أراقب هذا كله منتظرا أي نتيجة..

على كل حال مرّ اليوم سريعاً دون أن يظفر هذه النتيجة المرجوة  
وما رلنا ننظر..

• • •

الثلاثاء.. 10 يوليو..

يجب أن أسجل كل ما حدث بسرعة فلا وقت أمامك  
اليوم عكست الدكتور (مال) من حل لغز هذه التموجات، فلقد  
استخدمت الـ لا وقت بسرعة الكمبيوتر فعلها وبرامج الترجمة  
حولت لنا ما يقوله النبات إلى... لا وقت.. لا وقت..  
الدكتورة (مال) أوصلت الأجهزة الحديثة بالكمبيوتر الذي قرأت  
على شاشته هذه الكلمات الرهيبة:  
(حان وقت عودتنا هالك أحماد بشرية يصلح لعملية الانتقال )  
هذه الكلمات كان يصدرها النبات في صورة الموجات المتصغمة،  
وهنا يفسر كل شيء..  
أجسادنا مينة لأهلنا لم تعد ملكنا، بل ملكهم..

من هم !!؟

لا أعرف ولن أجد الوقت لأفعل، الدكتورة (مال) وجدت حلاً جذرياً  
للمشكلة كلها.

بها تشعل النار الآن في المحمية بعد أن حبسنا فيها حاولت معها  
لكن...

ربها!!!..

السات إنه

• • •



## الملف (1019) قسم الأبحاث العلمية

إلى ها تنهي المذكرات التي عثرا عليها بعد أن احترقت الحمية الطبيعية، ولولاها لما فهمنا شيئاً مما حدث..

الدكتورة (مال) وعامل الطاقة المسكني - الذي لا أفهم كيف كان يكتب مدكراته هذه - كما الصعيب الوحيدتين للحريق يبدو أن الدكتورة (مال) كانت تحاول التخلص من البات، لكنها فشلت!

البات لم يحترق كأن النار لا تؤثر فيه بالمرء وهكذا نمكنا من دراستهم ما حدث.. وما سيحدث..

البات كان يصغر غاراً خاصاً يؤثر على الأعصاب، ويصيب من يتعرض له بالجنون، وهذا يعني أننا لمجتمعا...

هذا هو السلاح البيولوجي الكامل كما أردنا، ولولا أن قررنا التضحية بالدكتورة (مال) لما تأكدنا من فاعليته..

يمكننا الآن إغلاق الملف..

وإعلان أن التجربة نجحت..

د عادل فهمي

أزرق

يطلقون عليها الزرقه الرمية..

الاسم نفسه مشير للتوحش لكنها علامة مهمة جدًا في الطب الشرعي لأنها تحدد الموضع الذي كانت عليه الجثة في الساعات القليلة التالية للوفاة. ولكم من متحر وجدوا الزرقه الرمية على طهره، مما جعلهم يدركون أنه قتل قتلًا على الأرض، ثم علمه قتله على المشقه ليحدد رجال الشرطة.. إن القصص المشابهة كثيرة جدًا..

يطلقون عليها الزرقه الرمية..

وأنا أحب اللون الأزرق، وأكره أن يرتبط بشيء رهيب مثل الموت لكن - للأسف - يظل لون الجثث الباردة والأطراف الموشحة للبرق أزرق أردنا هذا أو لم نرد..



كنت طالبًا فقيرًا في تلك المدينة الساحبة العجور. لا تسأل عن الظروف ولا الصعوبات التي جعلتني أعمل في المشرحة. نحن لا نحار الوظائف التي نعرض عليها وقد كنت في حاجة ماسة للمال

كان صاحب المشرحة ومديرها ورئيس مجلس إدارتها هو عم (عثمان) وهو رجل نوبي ظريف له حلد يشبه البادجيان الأسود، وكان من أمره اعتادت العمل لها منذ دهور في كل عام تطرح المستشفى ماقصة لمن تنوى

أمر المشرحة لأعلى إيجار. فكان هو يهور بها في كل مرة ومن يمه من ذلك يكن هو الجنة التالية الراقدة في هذه المشرحة..

ولسب؟ من قال ان عمل المشرحة ليس مرحاً؟ إنه حادوي يكسب كثير، ودحول اسولين في استنشي إيجاري إلى مشرحة هو لا احد يهرب عدها يعامل أهل اسولي كما ينبغي أسعار سياحة لا تسمع عنها إلا في أفحم فادق البحر لأحر والس مصطرة إلى الدفع لأهم يريدون إهاء عدها هم سريعاً.

كنت أساعده في عمله وبالطبع أنال حراً من الغيبة لم أكن أنفي راتباً، لكن السب التي كان يحكي إياها كنت تكفي لأسدد مصروفاتي وأرسل هاتين أو ثلاثة إلى أسرتي في القرية.

صفاً لم يكن أحد في بلدي يعرف طبيعة عملي كنت أزعجهم أبي أسبح المستندات في مكتب ما لو عرف أبي بمصدر المال الذي أرسده لتشاءمت وأنت أن تمسه وهو تفكير قاصر طبعاً لأن العمل هو العمل لا بد من بئس ما يفتس في المجاري لتسليكها، ولا بد من بئس ما يضطاد الكلاب المصبة بالسعار والجرب، ولا بد من بئس ما يقوم بربط فكوك الموتى بالشاش هذه أشياء كصلاة الجارة إن قام بها واحد سقطت عن الجميع، وإن لم يقم بها أحد ألم الجميع..

على أن هذه المهة نفعاً لا شك فيه إنما تعلمك التواضع.. تجعلك متديناً بحق ما لم تكن لصاً أصيلاً مثل عم (عثمان). أنت ها تعيش في المنطقة الفاصلة بين الموت والحياة، وكل رباتك كانوا يرحون ويدحنون ويدبرون المكائد مد أربع أو خمس ساعات الآن هم أشياء رهية تو قد بانتظر من يربحها الراحة الأخيرة. إنما لعبة كراسي موسيقية اليوم أنت واقف ها وهم رقود غداً أنت راقد على هذه المنضدة وهناك من يقف.

لهذا كنت أكثر من قراءة القرآن وأحافظ على ميقات الصلاة بدقة

سوف أعترف بأن هذه الفترة هي أحسن فترات حياتي من الناحية الدينية..

اعتقد أن الأمر يتعلق بمرجة معينة من الشفافية ثمة حاسة سابعة أو ثامنة قد استيقظت في أعماقي مع هذه التجربة الغريبة التدبيرة معيشة الموت العرلة الجهد الصادق.. وفي الأيام الأخيرة تكررت معي تلك الحوادث الغامضة التي تمر بنا من حين لآخر تفكر في صديق فتجده أمامك. تشعر بانقباض فتحدث كارتة. الخ.. لكني لم أحاول أن أتوقف كثيراً مع هذه الأحداث..

بدأ كل شيء أمس..

في التاسعة مساء دخلت الخمة إلى المكان. حينما تمارس أية مهة لها

علافة بالطلب أو الموت، لابد أن تُعبر أدبنا صوت اعته وهي بعد في الممر  
الخارجي.. وكنت وحدي تلك الليلة..

كان الراقص على الخفة رجلاً في الخمسين من العمر يبدو أنه ليس  
معتقاً

وقال لي أحد الرحيل المدين جاء به، وهما رجلا م ازها قط هـا

— "رحلوه مب في اوراق الشجر لا بدو ان هـاك حرية في الأمر لا  
أوراق.. إنه ناقص الأهلية.."

وقال آخر وهو يجهف عرقه:

— "ربما كانت أسرته تفتش عه الآن.. وربما لم تكن له أسرة.. لا  
أعرف.."

رُفعت الملاءة وتاملت وجهه ثم سألت في حيرة:

— "ما سر هذا اللون الأزرق الذي تلون به جلده بالكامل؟"

قال أحدهما بلا مبالاة:

— "وما الفارق؟ لو كان لونه أحر لسألت السؤال ذاته.."

وقال الآخر بلا مبالاة هو أيضاً:

— "ربما كان يشغل في الأزرق"

قفا دون أن يصححك، وكذا لم يصحك أحد هـاك دعابات تقال  
لكها لا تطالب بجمهور أو حق أداء علي.. تقال مجرد إحراج الملل أو  
الضغط العصبي على كل حال لابد أن عبي ليستا على ما يرام فانا  
اشعر أن المسعفين أيضاً لوهمنا أزرق معنى هذا أنني أخرف

وهكذا تسلمت هديتهما الرهبة، ففتحت درج الكلاجة الكبير  
ووضعت فيها ذلك البالس..

لم يكن الطب دراسي لكي قرأت كل ما وقع في يدي من مواضيع طبية  
كتبت بالعربية هـاك حالات معينة من الموت بالعبارات تسبب هذا اللون  
الأزرق أول أكسيد الكربون يجعل لون القنبيل أحر لدا يسمونه (الموت  
الأحر) لن أعرف الإجابة لكن دعني أؤكد لك أن ورقة هذا المتوفي كانت  
تختلف عن ورقة المتوفي التي أعرفها كأن هـاك من ألقاه في دلو به طلاء  
أزرق بمجرد وفاته..

بعد ما حلا المكان عدت إلى حطتي السابقة كروب الشاي ولعافة  
البيع أعترف أنني كنت أدرس من حين لآخر وهي حطبة بالسبة من هو  
مثلي في حاجة لكل ملهم، لكي كنت أسمع لصفي بها من وقت لآخر  
لأعتقد أنني (أعرج) جوار لعافة التبغ الكتاب الذي كنت أدرس فيه أنا  
طالب في كلية الآداب برغم كل شيء..



حاولت أن أركز فيما أقرأ لبعض الوقت، لكن شعور غريب من التوتر استبد بي أعرف هذا التوتر غير القابل للتفسير والذي يحدث أحياناً ويمضي أحياناً خوفاً لا لقد كتبت هذه البهجة عن أن تنثر في أي شيء سوى الملل

حبل أبي أبي اسمع صوتاً ما من داخل النلاحة هذا أيضاً شيء معتاد في الملهة لا بد حيناً تكون وحيداً ليلاً أن تسمع جدياً من حيث يرفد الموتى ظهره ينصب ما شعر رأسك في البداية ثم نعلم مرة بعد مرة أن المصدر الوحيد للصوت هو عقلك المكشود..

لكي قررب برغم كل شيء أن أمض متفلاً انجذبت إلى النلاحة وفتحت درجها انصلاص كان المتولى حث هو لم يتحرك ارحب الملاءة وعدت لنظر إلى وجهه بالفعل تترايد الرزقة أكثر وأكثر لابد من تفسير هذه الظاهرة إنه رجل أشيب الشعر له ملامح سلسة أنه معشوق كمصدر انسر وله شفتان رفيعتان حارمتان واضح أنه لم يتعدت كثيراً أثناء احتضاره..

قرب الشهادتين وأعدت على الدرج وعدت إلى مصدرة الدراسة

بعد قليل سمعت صخباً.. أعرف هذا النوع من الصوغاء..

كان القادم هو (مدير أعمالي) عم (عثمان) جاء ليمضي بعض الوقت هنا ويتفقد الأحوال..

لم يكن وحده كان معه رحلان وقد حباني بطريقة النوبة الطريقة ثم افتادها إلى الحجرة الحادية الصغيرة التي كانت حماماً ثم جعلها مكتباً له، وهو أعرب مكتب يمكن تحيله مكتب له دوش يتدل من السقف ومسورة تنحدر على السراميك ثم يسهي كل هذا فيحاة وكان في المكان مكتب عتيق صدئ من طراز (إيديال) وثلاثة مقاعد خشبية من طراز مقاعد المفاهي لهذا كان يطلق على المكان بساطه اسم (الدورة).

دخلت إلى حيث جلس مع الرجلين وانتشر الدخان في هواء الغرفة الضيقة، فغلب له حبر القادم الغريب هو رأسه بمعنى أنه مطمئن لكل شيء ما نُعت موجوداً..

كان يتكلم بينما أنا أنظر إلى الرجلين..

هذا الوجه..

الرجل الذي يلبس قميصاً أبيض. هذه الملامح الوقور. هذا الأنف المعقوف الشبه بمنقار النسر.. هذا الشعر الأشيب..

أين رأيت هذه الملامح من قبل؟

• • •

بعد قليل خرج عم (عثمان) من الغرفة ليرى ما لدي..

كنت أجلس في تلك القاعة ردية الهوى والإصغاء أطالع كني عندما دخل علي. فسألته عن هذين القادمين معه قال وهو يصلح عمامته

— "صديقان.."

ثم اتجه إلى النلاجة ففتحها.. وسمعته يشهق..

نظرت إلى حيث وقف وأنا أتوقع منه تعليقاً عن اللون الأزرق، لكنه قال في حمرة

— "أين وضعته؟"

دوت منه أكثر فوجدت أن الدرج خال.. نعم.. خال تماماً!

صحت في هلع وغباء:

— "كان موجوداً.. أقسم بالله أنه موجود.. أنا لا أفهم.."

نظر لي بعينه التي يكتسي بياضهما باللون الأصفر كطيعة السود ولم يعلق.. فقط قال لي:

— "يبدو أنك مرهق.. هل عادر (المرحوم) النلاجة؟" لا أظن

كنت في جنون.

— "طيقاً لا أنا لم أفارق المكان. لم يسرقه أحد أنا لا أفهم أنا لا أفهم"

ثم صحت وقد تذكرت:

— "رحلاً سيارة الإسعاف أحصراه سوف يؤكدان لك الأمر"

قال وهو يغلق الدرج:

— "بما أن الحنة سرفت منك وأنت حاسس ما كالك (مقطف) وبما أنك تكذب أو تتخيل.."

— "لا هذا ولا ذاك ولا ذاك.."

في هذه اللحظة ناداه أحد الرحلين لظفر لي بسرعة ثم عاد إلى الغرفة التي كانت حماماً فصارت مكتبة..

كنت أنا أفكر بلا انقطاع. لرعب الحقيقي هو أن حواسي تخدعي الفصل أن يكون بيت قد هضم وفر، لكن لا تقل لي من فضلك إن حواسي تخدعي

هكذا ظننت أنك فروة رأسي كالحنايين محاولاً أن أفق أفق من ماذا؟.. أفق من حالة اللاوعي التي تمر بي..

لا أعرف متى رحل الثلاثة لا بد أن عم (عثمان) لم يرد أن يصايفي

ثانية.. غداً سناقش هذه الأمور معي بشكل أوضح..

وأصمت الوقت أنظر في الكتب عبر علم كيف يجب أن أفكر

هل أصرحت بشيء؟ كانت هذه أسوأ ليلة في حياتي لقد مر الوقت

ثقيلاً واستعدت كل المخاوف القديمة من الموت..

عنى بي في الثانية بعد منتصف الليل تذكرت ابن ريت تلك الملامح التي ربيها على الحنة رجل أنيب الشعر له ملامح بيضاء نفعه معقوف كمصدر السر وله شفتان رفيعتان حارمان إن هذا بالذات هو الرجل ذو القميص الأبيض الذي كان يجلس مع عم (عثمان) نعم لاشك في هذا..

لا بد من تفسير هذا هل فر الميت من السلاحه ليجلس مع صديقه؟

هل هو أخو الخولي التوام مثلاً؟

لمشكلة إني لو صرحت عم (عثمان) بهذا الرأي لأصمت نقطة أخرى

إلى سجل خيالي..

• • •

في الرابعة صباحاً سمعت صوت المحفة.. هذه المرة رأيت مسعثن

يدخلان المشرحة وهما يحملان محفة عليها وجه مكسو بملاءة

كنت أعرف هذين الرجلين جيداً، وقد حياني أحدهما وقال:

— وجدوه ميتاً في الرقاق المجاور لا يبدو أن هناك جريمة في الأمر لا

أوراق.. إنه ناقص الأهلية..

وقال آخر وهو يحفف عرقه:

— ربما كانت أسرته تفتش عنه الآن وربما لم تكن له أسرة لا

نعرف..

هذه المحادثة تبدو مألوفة.. دنوت من الجنة وكشفت الوجه، ورتخت للحظة كف قلبي عن الحفصان هذه المرة بلا لون أوراق ولا شيء مجرد جنة يبدو السلام على وجهها. إنه الرجل ذو القميص الأبيض الرجل أنيب الشعر علامحه البيضة وأمه السري وشعبه الرفيعتين..

لقد مات. إنه صديق عم (عثمان).. لا شك في هذا..

وحبب انصرف المسعثن رحمت أفكر في معنى هذا كله. جنة ررقاء

تصل في الساعة التاسعة مساءً بعد هذا نخفي الجنة ثم تصل من جديد

غير ررقاء في الرابعة صباحاً..

صاحب الحنة بلا شك هو ذلك الرجل الذي كان جالساً في (الدورة)

ما معنى هذا؟

يقولون إن الميت يكون ميتا بالفعل أربعين يوماً قبل موعد وفاته الحقيقي في هذه اللحظات يجلس مع الناس ويتكلم وهو لا يعلم وهم لا يعلمون أنه ميت في وقت مقترص. حكيت هذه القصة ذات مرة لعم (عثمان) فصحت ساخراً، وقال إن هذه خرافات..

عندهم في التوبة يعتقدون أن هذه الفترة نصف يوم..

ثم ماذا؟.. لا أذكر كل ما قاله لي..

الآن لنعرض أن حاله الشفافية التي مرتت بها محبي هذه الموهبة العجيبة لقد رأيت الرجل ميماً قبل أن يموت فعلاً بسبع ساعات أو أقل وكانت العلامة التي فتحها هي أني رأيت مصوغاً باللون الأزرق بعد هذا فارق الرجل أخى رفصه وامضى أمسية مع رفاق آخرين أمسية أزهق فيها صحته طبعاً أو دس حرعه أكثر من اللازم من المحدرات كل أصدقاء عم (عثمان) مدمو محدرات بالماسة هكذا أصابته تلك التوبة القلبية في الرفاق المخاور للمستشفى ووحده أحدهم وأبلغ الإسعاف

هل هذا السيناريو ممكن؟

كنت عارفاً في هذه الخواطر في الخامسة وال نصف صباحاً عندما نرود الصوت الرهيب من جديد.. هذه من الليالي الصاخبة إذن..

على أني نصلب عندما رأيت المسعفي اللدين كان يدفعان الخفة

إعما المسعفان اللدان رايتهما أول مرة اللدان احصرا اجنحة الرقواء. حفاً إني أحق لماذا لم أهتم كثيراً بلوغهما الأزرق الذي لا شئ فيه؟ هل هما شبهان؟.. هل هما ميتان؟..

حاولت ألا أظهر حرعي بينما هما يفقدان أعاصي يحملهما الرهيب قال أحدهما:

.. "شاب دهمته ميارة مسرعة.. إنها ميتة شبيعة"

لم أغلق..

فقط دوت من الخفة ورفعت طرف الملاة لأرى صاحب هذه الخفة

بالفعل كان اللون الأزرق يعمر كل شيء. والآن فقط تذكرت باقي ما قاله عم (عثمان) لي..

قال لي إن هؤلاء الذين يكونون ميتين فعلاً وهم لا يعلمون، يكسون شفافية خاصة إنهم يرون ما لا يراه غيرهم يرون أولئك الذين سيموتون مثلهم في الساعات القادمة..

الآن أتذكر هذه الكلمات وألهم لماذا اكتسبت هذه الشفافية

إن الوجه الأزرق الراقد على الخفة كان وجهي أنا!



إن الوجه الأزرق الراقد على الضفة كان وجهي أنا

• • •

نيلي

الأوراق البيلى بديه العالم وهمايته هو قليل الأشياء وهو بعد الأشياء..

يقول (سليمان) وهو يشمر كمي القميص إلى منتصف ذراعيه  
المفولين

— أن لا أتكلم عن الغروب والشروق تلك الأوقات التي يحلو  
للشعر أن يتحولوا في الليل فيها أغلب هؤلاء (أفندية) لا يمارفون  
مفاهيم في وسط القاهرة هؤلاء لا يعرفون أنهم يتكلمون عن اللون  
المهي أو القمريري أنا أتحدث عن لحظة بعينها من النهار اللحظة  
التي بصر فيها الليل أوراق بيلى فعلاً كما في الكب كما خلقه الله  
تحدثت أنت عن الليل في الليل عندها أنت تتكلم عن الأسود تحدث  
عنه عند الغروب عندها تتحدث عن الأرحواني لكي أتحدث عن  
الليل حينما يكسب هذا اللون الأوراق البيلى الهدى الدار تشعر  
لخطيها أن هذا هو الليل حقاً وقد نزع عنه أفعلة التكلف والادعاء "

كنت أفهم ما يقول إلى حد ما الرسام التأثيري الباريسي الذي لم  
يكن يرسم لحظة (سان لارار) إلا في ساعة معينة من اليوم لا قبلها ولا  
بعدها، لأنه يبحث عن نوع معين من الإضاءة وبعد أن تتلاشى  
الإضاءة التي يريدونها كان يحمل فرشاته ولوحه الرسم ويعود لغرفته في

(موبارناس) هل كان (مويه) أم (مايه)؟ ما رلت أحلط بين  
الاصين..

كنت فاهم هذا وفهم سر تعلق امرء باللون الأزرق البيلي الهادي  
حتى في سحر (الكابالا) ليهودي يرمر هذا اللون لطبقة الرابعة (شيد  
= الرحمة) أي انه يرمر إلى الأب إلى الخال إلى العدل والخير  
والانزان الكوني.

كان (سليمان) يدرس في المدينة، لكنه كان يصبر على أن يعود إلى  
(كهر الرياب) كل يوم وفي الساعة المختارة كان يتوجه إلى البيل  
يمشي بصع دقائق على صفته أو يستقل فارت يحدف به مطارداً الأزرق  
البيلي الجميل هذا - ولأن هذه العادة ترفقه مد العبا - صارت له  
كعاد عريضان بذكراتك بأكتاف المصارعين، وكان حجم ذراعه  
جديراً بالتأمل.. فن تكسب أية مشاجرة معه أيذا.



بها الثالثة عصرًا في هذا الوقت من السنة..

هو يعرف الوقت بالضبط ويعرف أن الموعد يختلف في الشتاء  
كان هذا وقتاً ميتاً حاملاً في الصيف تكون الشمس عمودية عمداً

تجعل الجميع يصرون من المشي في الشتاء يكون الطلبة والموظفون قد  
عادوا لديارهم..

لا أحد على الكوريش إلا بعض العشاق من القرى المجاورة طلبة  
عاب بطرون حولهم في رعب ها يختلف العشاق عن عشاق  
القاهرة الذين يظرون لك بوقاحة وتحد. إنهم ها حائفون مدعورون  
مستعدون لتعرق في أية لحظة ولن يريد الأمر عني بصع حمل تقال  
بصوت حميص وسرعة ثم يعود كل منهما لداره بحمد الله على نجاحه هذه  
المرة.

يمشي (سليمان) في لغة متجهًا إلى السور تلك الفتحة التي احتارها  
مئات المرات من قبل يعبر إلى الضفة الترابية المحددة يمشي قليلاً إلى  
أن يقابل (محمد عصر) المراكبي العجوز اجلس جوار الشط لا يعيق  
من الحشيش العيان الحمراء المبهكتان الصيفتان السحرة المبهدة  
التي تشي بكيف صاحبها برغم هذا كان الرجل لطيف المعشر، وهي  
تلك لصعة التي تلاحظها في الحشاشين المسين حيث يجتمعهم الحشيش  
أهدأ طبعًا وأقرب للتأمل

على مسافة مبرين يجلس (يوسف) رجل في الثلاثين من العمر لا  
يعرف عنه (سليمان) إلا أنه يصطاد. يصطاد دائماً يصطاد للأبد  
القبعة القماشية المعروفة على رأسه و(الغلق) الذي يحوي شبتاً ماء،

والصارة الطويلة المتدلية في الماء أدنا لم يره قط يستخرج سمكه من الماء.. لكنه صار من ضروريات الليل..

يسأل (محمد عصر) عن الأحوال فقول هذا إنها (رفت) كالعادة وتصلحك حتى يشحش صدره من فرط ما فيه من بنعم

ومحركات الوثائق الذي فعلها مات امرات من قبل بزع (سليمان) حداثته ويلقيهما في القارب الخشبي، ثم يدفعه لينتعد مسافة عن الصفة ثم يشب فيه بعمقها من دون أن يطلب الادن من صاحبه لقد قصت العادة على الفصول أو التساؤلات، وقد اتفق هؤلاء القوم صمنا على أن يفعل كل مهم ما يريد دون أن يسأله الآخرون أو يسأله هو

يبتعد القارب ليتوغل في النهر الواسع حرر ورد الل غيط به فيحترقها هذه اللحظة بالذات أثيرة إلى نفسه بحرك التجديف بألفة وثقة فاصداً تلك البقعة التي يعرفها حدا البقعة التي يرى فيها اللون الأزرق النيلي.

يجب أن نتوقف هنا لؤكد بعض الحقائق لم يكن (سليمان) شاعرا ولم يكن يتمتع بثقافة خاصة فقط كان الداء يدعو كل يوم ليرى هذا الأرق العظيم لم يكن يهتم بتحليل مشاعره، ولا يهتم بفهم ما يدور بخلده؛ فقط كان يريد أن تترك وشأه وأن يسبح في هذه الرقعة إلى أن

يبدل اللون بالسمة في ولث لم يكن يتبدل، لكن عبي (سليمان) الحساسين كانتا تلمحطان الفارق. عندها لا يعود النيل بيله، إنما هو نيل الآخرين المتظاهرين بالشاعرية. نيل (الأفندية) كما كان يحبو له أن يدعوه..

وعندها فقط كان يعود..

أحيانا كان يتوقف بالقرب عند الصفة الأخرى. ويُخرج من الكيس البلاستيكي كتابا من كتب الجامعة، ويحاول أن يقرأ شيئا كان يدرس الحقوق وكان يكره الحقوق لكنه كان يحاول بصمير مخلص أن يفعل ما يصرص منه أن يفعله والنيحة لا شيء حروف رائحة ومعال لا تستقيم سرعان ما تنزلق عيناه فوق الأوراق لتستقرأ على الماء ولا يمرى متى ولا كيف يتغلق الكتاب ليعود إلى الكيس..

هل كان واقعا في الحب؟ أنا لا أعرف لا أحد يعرف أراه على أنه هو نفسه لا يعرف إن تلك النظرات الخائبة الرائعة أبعد ما تكون عن نظرات إنسان يعرف نفسه..

إذن قيم كان يفكر وهو ينظر للماء؟..

متى بدأت القصة؟ أنا لا أعرف هو لا يعرف لا أحد يعرف



الأزرق النيلي. بداية العالم وهمايته هو قبل الأشياء وهو بعد الأشياء..

تقول (عواطف) وهي تحكم ربط الإيثرب النيلي حول عنقها

— "قليلات يفهم ما أتكلم عنه أنا أتحدث عن لحظة بعينها من النهار اللحظة التي يصير فيها الليل أزرق بلبًا فعلاً كما في الكب كما حدث لله تشعر لحظتها أن هذا هو الليل حقاً وقد برع عنه أقعة التكلف والادعاء.."

لا يعرف سر هذا الداء الغامض الذي كان يدعوها إلى الليل في هذه الساعة من كل يوم إنها تعيش في (كهف الربات)، ولم تكن تعاني كثيراً في البحث عن مأمورية ما تدفعها للحروح في هذه الساعة أن الوقت حول العصر على كل حال

كانت طالبة في الثانوية التجارية، ولم تكن رابعة الحمال لكنها كانت ممشوقة القوام ولو رأيتها وهي تمشي بسرعتها فاردة ظهرها جوار النهر لحيل إليك انها (إيريس) دائماً، وكأنها تفتش عن أشلاء (أوريريس) المتناثرة هنا وهناك هل ترى ثيابها الرخيصة؟ إنها فم حياً بهذه الدرجة من الرقة بالذات..

كانت ترى ذلك المراكبي العجوز الجالس يدخن والذي لا يفتق أبداً،

وذلك الصياد الذي لا يصطاد شيئاً أبداً ترى بانعة اللب وذلك الصي الذي يقف بكبراً ذرة لا يبعها أبداً..

كنتها معانم مخطئها جيد، وهي تمشي حور النهر لعظيم دابة في الأزرق النيلي..

هاك من يعكسها من هؤلاء الفنية الذين تأخروا في العودة من مدارسهم تعرفهم من ثيابهم الموحدة والكب التي يحملونها. بهم لا يفهمون مضي فناء وحيدة مثلها إلا معنى واحداً وكل واحد منهم يتمنى أو يريد أن يبدأ قصة ما، لكنها لا تأتي بهذه السحافات، هذا الدباب الذي يمنعها من النظر إلى الليل بلا انقطاع

تمشي على الليل وهي تنظر لدصفة الأخرى حين لو استطاعت أن ترمي نفسها فيه لو كانت لها حرية أن تتركب قارباً من هذه القوارب كما يفعل ذلك الفتى مقتول العصابات هناك لكن مجتمعاً كمجتمعها قاس جداً على المرأة ولن يفهمها أحد..

فقط الرجل يحق له أن يخرج متى شاء، ويعود متى شاء ويستأجر قارباً يجوب به الماء متى أراد ولو قرر في لحظة أن يتزع ثيابه لش في النيل لما أقامه أحد بالوقاحة..

الوقاحة الحقيقية هي أن ترى شيئاً غريباً في هذا..

كانت تنهد.. ثم تكمل جولتها وتعود.

حقاً هي لا تعرف سر ولعها باللون الأزرق البلي..

• • •

الأزرق البلي بداية العالم ومحبته هو قبل الأشياء وهو بعد الأشياء..

يقول (يوسف) وهو يضع في الشص دودة أخرى:

— أنا لا أتكلم عن ذلك البيل الذي تراه في (السيما) بل (أحمد) و(مى) وهذا الغراء اسيل الذي يدعوني إليه هو الل عندما يبدو يلاً.. أزرق.. نيلًا.. جميلًا صافيًا..

كان يعرف أنه صياد غائب.. أسوأ صياد عرفه في حياته..

لكن ما أن يأتي الوقت حتى يجد نفسه يحمل ديدانه وصارنه وبصع القعة القماشية على رأسه ويهرع إلى البيل يمر حوار عم (محمد عوف) العجور الذي لا يفيق من الخشيش والذي يتظاهر بأنه مراكمي محترف.. اسمه (محمد عوف)..

لقد أحبره هذا وأحبره أن الخفي يحسون اسمه (محمد عصر) لا يهم.. عندما تصير في سبي لا يهم إن القبر لا يأتي باسم العظام

الراقدة فيه.

يقول عم (محمد):

— لا يمكنك أن تصطاد (بشاربنة) واحدة في هذا المكان وفي هذا الوقت السمك لا يأكل الآن يا بني يجب أن تنتظر العروب وادعهم هناك..\*

ويشير بيده الراححة إلى بقعة ما يحفها ورد البيل، ويمر به في هذه اللحظة قرب القى مفتول العضلات الذي يراه كل يوم كم مرة قالها له العجوز؟.. وكم مرة لم يصغ له..؟ إن الصيد آخر شيء يريد.. كل ما يريد.. — مد دعومة أظفاره — هو أن يملأ عينيه بالأزرق البلي.. والصيد مجرد مرور..

تلك الصاة التي تأتي كل يوم تمر به.. معقولة ليست جميلة لكن جسمها لا بأس به أبدًا.. الغريب أنه لم يشعر لحظة في حياته بأنه بحاجة إلى امرأة.. هل هو طيمي؟.. لا يعرف..

• • •

أنقل هنا كلمات عم (محمد عوف) أو عم (محمد عصر)

— كان ذلك اليوم مختلف لم يعد واحد منهم وقد بدأ البيل

يدبو..

لم أفهم ما يحدث إن عيني مريضتان سقيمتان، لكن كان يوسعي أن أرى ذلك الفتى (سليمان) الذي صار ربوبي الوحيد بحب الهير بإصرار يدور بالقرب وسط حرر ورد النيل ثم يعود بلا مية لهبوط على الضفة..

في اللحظة ذاتها رأيت أن (يوسف) الصياد لم يجمع حاجياته ويرحل لقد كرمها حواره وراح يرمق الهير في إصرار غريب بعد قليل اقتربت تبث الفتاة التي تأتي هـ كل يوم وقت نظر للماء

لقد غربت الشمس الآن ولوت الماء بلون أرجواني غريب

لكن الفتاة لم تغير وقتها وبانعة اللب لم ترحل الكل يقف على ضفة النهر يرمق الماء بإصرار لم أفهمه..

ثم رأيت القارب يدبو أخيراً من الضفة فيرحل منه ذلك الفتى

صحت منادياً

ـ "تأخرت اليوم.. إن لنا حساباً خاصاً.."

لكنه لم يقل شيئاً فقط وقف مع الواقفين ينظر للماء

ثم رأيهم يمشكون بيدي بعضهم البعض لم أفهم معنى هذا فهم لا يعرفون بعضهم البعض إلى هذا الحد رأيتهم يخطون بخطى ثابتة نحو الماء..

لا تقاطعي أعرف أن كل ما أقوله يحوم حوله لشك مستقربون أن الخشيش أطار صوتي نعم هذا حذر لكى أقسم بشئ أبى الأكر أبى ربهم يمشون نحو الماء بلا تردد ولا خوف ولا أي شيء هل تريد أكثر أقسم لك أبى رأيهم يمشون فوق الماء يمشون يمشون.. وسط ورد النيل العائم..

وينظر حولي لهم أر أحدًا أشهده على هذا المظر المريب لو كان أحد قريباً..

رأيهم الآن قد وصلوا إلى منتصف الهير ثم بلا مية مفارقه ولا كلمة واحدة رأيهم يغوصون في الماء بغوصون لا شيء سوى لفقايع لا شيء سوى دوامات الماء..

لقد اكتمل الظلام..

ولم أعد أئين شيئاً إلا هذه البقعة الموداء في وسط النيل.. والتي أقسم لك أفهم كانوا يقفون عليها منذ ثابتي

تقول إنني أخرف.. لا أملك كثيراً.. أنا نفسي أشك في عقلي الآن..

لا عليك اس ما قلت . اسمه ..

• • •

لكي لم أنس ما قال ..

لم أنه قط وما رلت أعقد أما لحظة عذرة من صفاء الوعي جعلته يرى ما راد هؤلاء القبة كانوا يتلقون بداء الهر مد أعوام فما معنى هذا ثم جاءت اللحظة وسرعان ما انجهوا إلى الماء ليفوضوا فيه بلا اتفاق مسبق ولا ترتيب.

التحول ..

هذه هي الكلمة الصحيحة لقد تم اعدادهم لشيء كهذا طيلة حياتهم كان هذا الداء الذي لا يعرفون كنهه ورائفهم عدة أعوام ثم التحول وهكذا انتقلوا إلى طور آخر من حياتهم طور لا يعرف ما به .

دودة القز تلتهم أوراق التوت ولا تعرف السب وفي لحظة معينة تبصق خيوط الحرير لتدخل في طور الشرقة

ما اليد الخفية التي اختارت هؤلاء ولأية أغراض ..؟

عشرة أعوام أو أكثر من الإعداد لماذا هل ليموتوا غرقاً أم ليكونوا أبناء النهر؟

إلام صاروا؟.. ولماذا لم يجد أحد جثثهم قط؟

• • •

عم (محمد عوف) أو عم (محمد عصر) يجلس عند منتصف الليل جوار النهر ..

إن الجو بارد لذا أعد لنفسه هذا (الخص) الذي يقيه شر البرد، وهو هناك جالس يشرب الشاي ويدخن الجوزة .. ويسعل ..

بالنسبة له لا شيء يهم رأى هذه الظاهرة أم لم يرها لا شيء يهم ..

القبر لا يبالي إن كانت العظام الراقدة فيه قد رأت عجا أم لا، كما لا يبالي إن كان اسم صاحب العظام (محمد عوف) أو (محمد عصر) .

والخشيش صديقه الدائم لقد دخه قبل أن يرى ما رآه فلم يستوثق منه اليوم يدخه بعد ما رآه فسي أكثره لكنه سيعرف الكثير بعد دقيقتين . بعد دقيقة واحدة .. بعد ثوان ..



إن الماء يتحرك بجوار الصفة..

يخيل إليه أن شيئاً يرتفع من هناك..

الآن يرى بوضوح على ضوء النيران ذلك الشخص الخارج من الماء، والذي ابل شعره واحتلظ بالأعشاب، وانصهت ملامحه كالغرقى..

لكنه الوجه ذاته.. لن ينساه أبداً..

(سليمان) يقف هناك ويعد يده له وبصوت مبحوح حافت لم يستعمله منذ زمن يقول.

— تعال يا عم (محمد)، لا تخف سأريك شيئاً لم تره من قبل \*

إن الماء لا يبالي بأسماء الجثث العارقة فيه، إن كانت (محمد عوف) أو (محمد عصر) كما أن الحشيش جعل جسدك واحاً متراجفاً عاحراً، عن الفرار أو الصراخ أو حتى إلقاء الأسئلة..

لا تخف أيها المعجوز..

لا تخف..

• • •

**بنفسجي**

لون عينيّ أختها (ميادة) بنفسجي..

لا يمكن أن تتصور مدى تباين الآراء حول هاتين العيبي كأمنا سافش  
قصة الشرق الأوسط إن أباها يؤكد أنهما رفقاران (مراد) حبيبهما يقول  
إنهما كحليتان.. أستاذ (فكري) قال إنهما سوداوان..

(مها) فقط تؤمن يقيناً أن عينيّ أختها بنفسجيتان..

الكل يصحك الكل يهيمها بالسخر الكل يتهمها بالهديان لكنها  
والله مما تقول

فيما بعد قرأت أن عينيّ (تشيكوف) الكاتب الروسي العظيم كانت  
علامتيّ اسمهم بالنسبة لكل من تعامل معهما لم يتفق أحد قط على  
لوهما هذا يعني أن الأمر وارد ثم أعين لا يعرف أحد لوها يقبّ



لا تذكر متى لاحظت هذه الحقيقة..

ربما لاحظتها يوم حاء (مراد) لدارها أول مرة جلس في الصالون  
متظاهراً بالأدب بصفي لكلام الأب الذي لا ينتهي عن مستقبل المنطقة  
من الغريب أن العبقري الذي يفهم كل طلائع السياسة والدين والاقتصاد  
والقانون والطب ليس بعيداً إنك تقابله في كل مكان تقريباً. إنه حارك

إنه صديقك . إنه أبوك . إنه أول واحد تلقاه في الشارع لو خرجت الآن .  
إذن أين الحمقى في عالمنا ؟ . إهم المكشوفون رسميًا هذه الأمور

كان (مراد) يتظاهر بالإصغاء ويعتصر كأس العصر . كم تحب هذه  
البسمة نصف المهذبة نصف الساحرة عني شفيه والتي تراها كثيرًا أثناء  
عمله في الإدارة صباحًا..

لكن الابتسامة تلاشت عندما دحبت (ميادة) صافحته وجلست حوار  
أبيها، وبك الرائحة لفواحه تتصاعد منها كان وجودها دانه ملموسًا  
كأها طيف طيف عريب ساحر وقد تساءلت (مها) في ذهنه عن  
السبب الذي يجعل أختها تناق هذا الشكل - الذي لم تره قط - لأن  
عريبًا جاء لأختها

تلاشت الابتسامة وتظاهر (مراد) بعض الوقت بأنه مهمك لا يلاحظ،  
ثم فجأة بدأت عيانه ترفقان نحو (ميادة) هذه النظرة تعرفها حذاً لى  
تخضع فيها..

الآن صار يتكلم ببطء وبضغط على كل حرف أحيانًا يسمى ما كان  
يريد قوله . وقد خرجت (مها) لشأن ما، ثم عادت لتصبطه ينظر إلى (ميادة)  
بشأت وإفراط يسأ الأب يثرثر بلا انقطاع . نعم هو ينظر لها وإن كان  
يعطي انطباعًا أوليًا بأنه ينظر نحو الأب . تذكرت الشاعر الأحول (أبو

العيناء) الذي كتب عن موقف مماثل:

"حدث الله اد بلاني بحبها \* على حول يعنى عن الطور الشر

نظرت إليها والرقب بظنسى \* نظرت إليه فاسترحب من العسر"

هكذا جلست (مها) معكزة المراح، فلو كانت هذه قصة مصورة لخرج  
الدخان الأسود من رأسها كناية عن العظ هذه الأفعى قد قررت أن  
تهدد أجمل ليلة في حياتها حتى هذه اللحظة .

كانت (ميادة) جالسة وقد أشرق وجهها كالشمس، وكانت تنابع كل  
حرف يقوله (مراد) وهي توشك على الانهيار صحنًا أو تؤمن على كلامه  
كالإماء يسما هي - (مها) - جالسة كالصيف الرائد لا دور لها على  
الإطلاق في أي شيء، ولو جاء رائتر من المريح لقل لك إن (ميادة) و(مراد)  
حييان يجلسان في وجود عاذلستن قبلي الظل..

عندها أدركت أن عيني (ميادة) بنفسجيان..



كان هذا الشيء يوهج على الأرض بلا انقطاع .

وانحت تلتقطه وتمحصه..

ربما كان ورقة.. لكنها أقرب إلى رقاقة إلكترونية كالتي تراها في الدوائر المتكاملة. دوائر كهربية رُسمت رسمًا على دعامة من المعدن وكان لها بريق غريب..

قالت لأختها:

— "ربما كان من الحكمة أن نتخلص منها سمعت أن هذه الأشياء تمحّر"

قالت لها وهي تلمس الرقاقة في حقيبتها.

— "لا أعرف ربما كانت مهمة أنا لم أتعود التخلص من شيء لا أعرفه"

• • •

في الصباح قالت (مراد) في الإدارة حيث كان عاكفًا يصلح ثغرة في برنامج الكمبيوتر الذي صممه..

قالت له في فتور:

— "علام التفتنما؟"

قال وهو يواصل قرق الماتنج:

— "لم تنق كان هذا هو التعارف. الخطوة الأولى الخطوة الثانية هي طلب يدك رسميًا في وجود أهلي.."

ثم حك رأسه في دهشة وسألها.

— "غريب.. حسبت أنك تابعت المحادثة كلها.."

قالت في شيء من السخريّة المريرة:

— "(ميادة) تابعت كل شيء.."

هل يعتمد أن يعيظها أم هو فعلاً أبله إلى هذا الحد؟ لقد قال في الفتان وقد توقف عن الكتابة:

— "أحنت هذه طريقة فعلاً والأغرب أن عيها كحليتان! لم أرى حياتي شخصاً له عيان بهذا اللون!"

كانت تعرف ولع الرجال الوحشي بإثارة غير النساء اللاتي يحوهم لهذا قررت ألا تحقق له أي انتصار وقالت في برود:

— "أنت دقيق الملاحظة لم أنظر في عيها قط في حياتي لكك رايت هذا وبرغم المسافة بينكما.. عيقرى فعلاً!"

هز رأسه وواصل الطرق على الماتنج..



لكها قات في نفسها إنه أحق إن لون عبي (ميادة) بمسحي

يكفي هذا هذه لن تكون المرة الأولى التي تظهر فيها (ميادة) بكل شيء  
بتقدير المرسين وحب الأبوين وهيام المعجبين ونصديق المشككين كل شيء

هناك قصة لـ (مارك توين) تخكي عن أخوين أحدهما مهذب متواضع قانع،  
والآخر وعد صاحب مرعج هذا كانوا يعطون الأول أقل القليل من كل شيء  
(لأنه ملاك)، بينما الآخر كان يظهر بأفخر الثياب وأعلى الألعاب (لأنه وفح  
يصعب إرضاءه) الحصة أن هذا كان سياريو حياته مع (ميادة) تقريباً

الاب كان يدل (ميادة) كثيراً لأنها الأصغر ولأنها تشبه المرحومة أمها  
حتى في لون العين الأزرق. وحتى من العشرين كان يذهب لكلتها  
ليصحبها في العودة، بينما (مها) فديرة لا يحشى عليها المرء، لذا كانت  
تواحه حتفها على درحات الحافلة كل يوم وتلقى ألف كوع في وجهها

أما حينما تمشي الشقيقتان معاً، فقد كانت (مها) تعرف أين ينظر  
الجميع ولماذا. فلولا التهذيب لطلب منها الناس أن تنحني قليلاً كي لا  
تجرب جمال أختها..

في تلك اللحظات كانت تدرك أن عبي (ميادة) لوئها بمسحي.



مق قورت أن (ميادة) لم تعد كما كانت؟

هذا أيضاً من الأمور التي يصعب إعطاء رأي دقيق فيها. أنت تتعجب  
بأن ابنك الطفل البريء رفيع الصوت صار مرافقاً حش الصوت والوحدة،  
ولا تستطيع أن تعطي تاريخاً محدداً حدث فيه هذا التعيرات التدريجية تجعل  
تحديد التاريخ مستحيلاً..

الملاحظة الأولى هي أن عبي (ميادة) ليست بمسحيتين دائماً لا شك  
في هذا من السهل أن تقول أنها كانت واهمة من البداية لكن لا هي  
وانته من حواسها جيداً لون عبي (ميادة) صار بمسحياً ثم لم يعد كذلك،  
ولا مجال هنا للكلام عن عدسات ملصقة..

أحياناً أخرى تنظر لـ (ميادة) فتحد أنها كانت حمقاء عبي الصاة  
بمسحيتان بقوة وفي كل مرة تكلم نفسها عن الأعباء الصوء العين  
البيّة الفاتحة تخضر أحياناً أو تبدو ذهبية في أحيان أخرى..

لماذا صارت (ميادة) تاكل أقل فأقل؟ هي لم تكن شرهة لكنها لم تكن  
فراشة قط..

ثم عادة الكلام أثناء النوم إن الماتين تامان معاً في عرفة صغيرة حميمة  
هي نمودج لأبة غرفه فيات في مصر. كانت (ميادة) تمام كالقبر فيما

سبق.. بلا أي صوت.. لا شخير.. لا صليل من الأنف.. لا شيء.

في الفترة الأخيرة هي تكلم أولاً بدا في الضغط على أنفها محدثة صريراً بصوت الذي يحطم اعصاب (مها) فعلاً ثم بدأ الكلام لغة لا يمكن فهمها تقول أشياء أصواتاً غليظة أصواتاً حشمة أصواتاً خفيفة . ضحكات عذبة . ضحكات هائجة..

ثم...

من حدثك عن موضوع الضوء البصري الذي يعبر الحجرة؟ نعم أحياناً ينهض (مها) من نومها مدعورة لتجد ن لفرقة مبح في ضوء بصري ذهب شيء بذكرك بالغروب وقل أن تصرح أو تحاول الفهم يروى هذا التأثير وتستعيد الحجرة بظلام الخشب السابق لقد فسرت الأمر أكثر من مرة بالعباب السوداء أثر الظلام على عين كانت مدممة ثم فصح فجاء مثلما تنظر لشمس برهة من ثم تطاردك في كل ركن مظلم من دارك.

هذا بالطبع لو تغاصبنا عن جلسات (مادة) وحدها في الظلام نهرًا

نعم هذا صحيح لقد صحت (مها) أكثر من مرة ليلاً لتجد أن (ميادة) تجلس في الظلام الدامس وعنى حفرها كتاب ودات مرة سألها

عما تفعله بالصبط فقالت (ميادة) لي ارتباك:

— "لا شيء. أردت مراجعة نقطة في دروس غد ولم أشأ أن أزعجك!"

مق اتخذت قرارها؟

هذا أيضاً من الأشياء التي لا يمكن أن نحدد لها تاريخاً

لقد صحت ذات يوم وقررت أن (ميادة) ليست هي (ميادة)

هذا هو الصبر الوحيد والمقبول..



لعل هذا حدث بعد اليوم الذي جرحته فيه (ميادة) نفسها وهي تقطع برتقالة في المطبخ وهرعت (مها) مدعورة تحاول أن تساعد. لكن هذه ركضت إلى الخوص مرتبكة وراحت تغسل يدها من الدم دم؟ لربع ثانية استطاعت (مها) أن ترى السائل المتدفق، وعرفت في فرة نفسها انه ليس دمًا على الإطلاق.. إن لونه بنفسجي..

لم تستطع أن تصارح أحداً بحواظرها . إن الإجابة حرة أنت مستريرة يا عزيزي. أما الإجابة الأسوأ فهي أنت تحفدين على (ميادة) لأنها تهور بكل شيء وأنت لا..

هكذا قررت أن تبلى عواطرها وتصلت..

لكنها قررت أن تفتش حاجيات (ميادة) جيداً..

ذهبت (ميادة) إلى كلبيها في الصباح، وكان على (مها) أن تفرع في الإدارة لكنها قررت أن تأخذ ساعة تأخير لهذا اليوم..

وحدها في الغرفة هرعت إلى حراثة باب فأنقب عليها نظرة حيرة كانت تعرف كل ثوب وكل شيء هنا ثم راحت تفتش في صناديق الأوراق التي تخفي فيها (ميادة) (كورها) منذ الصبا. فوافقة عربية الشكل، وردة مخمفة، بطاقة معاينة عليها قلم جميل.. الخ

لا شيء..

ثم هرعت إلى المكتب ففتحته وراحت تنقب..

لحظة هذا هو الكتاب الذي وحده أكثر من ليلة بين يدي (ميادة) لا يوجد كتاب آخر بهذا الحجم وهذا القطع مدت يدها تفتش بين أوراقه فلم تر إلا كتاباً قراسياً عملاً يشرح هندسة الاتصالات..

لكنها في غايته وجدت شيئاً تلك الرقاقة التي وجدتتها في فريتهما

• • •

"ما هذا الضوء الذي يوهج للحظة واحدة خلف الشجرة؟"

— "لا أعرف يا (مها).."

— "إذن تعالي نقرب.."

— "يجب أن يكون شيء هبط من السماء هل تعرفين كيف قبضت تلك القنابل وتنفجر في السماء؟.. أخشى أن مكتشف أنه لغم.."

— "كلام فارغ.. هل تمرين شيئاً؟"

— "لا لكن خطه هذه الرقاقة البراقة لا أعرف سبب وجودها في قرية كهذه وسط روث اندثرت هذه هي الشيء الذي هبط من السماء.."

• • •

إن الرقاقة الآن في راحتها.

لا يوجد ما ينبغي أن تكون هي الشيء الذي تسهر (ميادة) تنامه ليلاً

تسربت حراره حسنها إلى الرقاقة فراحت تسخن وتسخن ببطء لكن بشكل مؤكد إنها تنوهج بذلك الضوء البهيمي الغريب الذي كانت تراه في الغرفة ليلاً..



انثامها اطلع فقلقت بالرفاقة لتسقط على الفراش، ثم ابتلعت ريقها وراحت تلهث..

هذه الرفاقة لعنة.. لا شك في هذا وهذه اللعنة قد مست (ميادة) فجعلتها تنفخ.. لكن.. لعنة؟..

لعنة؟

غريبة هي تلك اللعنات التكنولوجية التي تشبه الدوائر المتكاملة..

ثم خطر لها شيء آخر..

(ميادة) هي التي أسرعت أولاً لترى ما سقط خلف الشجرة.. هي رأت أفلاماً كثيرة للخيال العلمي، ورأت عشرات القصص التي يتم فيها الاستبدال في لحظة.. فجأة لم تعد (ميادة) هنالك.. إما أنها صارت قشرة تضم ذلك الشيء الذي جاء من أجواز الفضاء، وإما أنها تلاشت وهو حل مكانها.. ثم خرج من وراء الشجرة ليقول: "لا.. لكن لحظة.. هذه الرفاقة البراقة.. لا أعـ... الخ.."

وفي هذه الحالة لابد أن الرفاقة كانت هي سفينة فضاء ذلك الكائن، أو لعلها جهاز اتصال خاص به قادر على نقل كيانه إلى العنـ الذي يمكـ لها..

هل هذا معقول؟

غير معقول.. لكن ما يحدث لـ (ميادة) غير معقول كذلك.. أنت تحتاج لأكثر التفسيرات سخفاً كي تفسر أكثر الظواهر غرابة..

ماذا تفعل؟.. لا تستطيع أن تقتل (ميادة) ببساطة لأن (كائنات فضائية) يمكن فيها.. لكن هناك حلاً أقرب إلى المنطق وسوف تنفذه هذه الليلة..

• • •

كنت أنا الطبيب النفسي الذي تولى علاج (مها)..

قلت للأب والأخت (ميادة) وأنا أخط آخر ملاحظاتي في دفثري:

— "القصة بسيطة جداً ونسمعها مئات المرات.. إن شعورها بالظلم وبأنها لا تنال ما تستحق أدى بعقلها الهش إلى جنون اضطهاد كامل.. هكذا ولدت هذه القصة عن أختها التي ليست أختها.. ثم هذا المشهد الدرامي الأخير.."

قال الأب وهو يرتجف:

— "هل تسمح لي بالتدخين؟"

هزرت رأسي في ضيق أن نعم، فأشعل لفافة تبغ بيد راجفة وقال:

— "لا أتصور ما حدث.. أصحو في الرابعة صباحاً لأصلي الفجر؛ فأجد (مها) واقفة في المطبخ تحاول حرق تلك الدائرة التي تحتفظ بها أختها لأسباب دراسية.. وحينما حاولت منعها راحت تصرخ في هستيريا.. تقول إن (ميادة) ليست (ميادة) وإنما قشرة يتخفى فيها كائن فضائي.. لقد جاء الجيران واحتجنا إلى تقييدها لنحملها إلى المستشفى.. لكنها لم تكف عن الصراخ لحظة.."

قلت وأنا أكتف أنفاسي تفادياً لكل هذا الدخان:

— "كل هذا يحدث كثيراً جداً.. فقط كل إنسان يعتبر حاله فريدة.."

سألني في لحظة:

— "هل أنا السبب؟.. هل تعتقد أنني فرقت في المعاملة بينهما حقاً؟"

قلت في برود:

— "يصعب علي أن أحكم ما دمت لم أر.. لكن الإحصاءات تؤكد أن هذا هو الحال لدى 80% من الآباء.. لسبب ما يظفر أحد الأخوة بكل شيء.. وهذا يوقع الآخرين في مصيدة الاحتياج للحب والعدم الثقة بالنفس أبداً.. أنا أؤمن أن كل مرض نفسي جاء من خطأ تربوي أو خلل وراثي.. لكن أرجو ألا يكون أوان العلاج قد فات.."

تأهب للنهوض فقلت له:

— "سوف تبقى هي في المصحة كما اتفقنا وإن كنت أفضل أن تبقى أختها معها.. هذا مهم للعلاج.."

هز رأسه موافقاً.. كان يوسعه الآن أن يوافق على أي شيء.. إن الإحساس بالذنب هذا..

مرت دقائق بعد انصرافه، و(ميادة) تجلس أمامي صامتة تعبت ببقايا لعانة التبغ التي كان أبوها يدخنها.. بعد قليل قمصت فأغلقت الباب وأضأت النور البنفسجي المريح للعين لأنه يذكرنا بوطننا..

قالت لي:

— "سوهاك.. إياهاوه سيلا تنمو كوالمار شين كاه.."

فقلت لها في حزم:

— "سوف نتكلم العربية.. كفك ما افترفت من أخطاء حتى هذه اللحظة.."

ثم سمحت للون البنفسجي أن يتألق في عيني وقلت لها:

— "كنت سريعة الخاطر عندما اقترحت اسمي لأعالج (مها).. إنها الآن في



قبضتنا ولن تفر ومهما تكلمت لن بصدقها أحد.. لكك كنت بلهاء عندما  
سمحت لعينيك بأن تألقا باللون البنفسجي.. حقاء عندما رحت تخاطبيني  
عبر الشريحة في الظلام.. لقد كشفت عن أشياء كثيرة جدًا..

بدا عليها الحرج في الضوء البنفسجي المريح للعينين، فقلت لها:

— "لقد تم تحولنا منذ شهرين.. هناك خمسة منا الآن في (مصر) وعشرون  
في (الولايات المتحدة) وخمسة في (فرنسا) وأربعة في (اليابان).. يجب أن  
نظل في دائرة الظل إلى أن يزداد عدداً أكثر فأكثر وعندها نطرب  
ضربتنا.. ليس قبل ذلك.. صدقي"



د. أحمد خالد توفيق

د. تامر إبراهيم

# قوس قزح

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي.  
اليوم نحكي لك كيف أن قوس القزح قد يكون مخيفًا..  
كيف تصير الألوان مرعبة أو على الأقل تقديرًا ليست كما  
وجدت في خيالات طفولتنا..  
أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي.  
قوس قزح..  
وسبع قصص تحكي عن الألوان..  
سبع حكايات عن قوس قزح..

الطبعة الأولى: ٢٠١٤

الناشر: دار ليل للنشر والتوزيع

٥